

المُنَجِم

الكتاب: المُنَجِم

المؤلف: محمد رجب عرفة

تدقيق لغوي: عمر محمد - كمال اليماني

تصميم الغلاف: عبد الرحمن حافظ

تنسيق داخلي: سمر محمد

رقم الإيداع: ٢١١٧٢/٢٠١٥

978-977-85156-8-8 : I.S.B.N

محمد شوقي : المدير العام

مدير النشر: علي حمدي

مدير التوزيع: عمر عباس/ 01150636428

لمراسلة الدار:Email:P.bookjuice@yahoo.com





المُنَجِم

رواية

محمد رجب عرفة





تنويه:

جميع الشخصيات والأحداث في تلك الرواية غير حقيقية، ولم تحدث قط..ولكنها قد تحدث يومًا.



"إذا لم تزد على الحياة شيئًا تكن أنت زائدًا عليها"

مصطفى صادق الرافعي



(١)

في أواخر العام الدراسي ١٩٩٥/١٩٩٤

على غير عادة مدارس الإمارات العربية المتحدة كانت مدرسة "الروضة" هادئة في ذلك اليوم لا سيما في مكتب أ.فاتن توفيق، الأخصائية الاجتماعية. يقطع ذلك الهدوء صوت طرقات على الباب؛ ترد بوقارها المعتاد: تفضل.

يُفتح الباب، ويدخل رجلٌ خمسيني وزوجته، تظهر عليهما علامات الثراء، ويُلْقيان السلامَ..

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. تفضل يا أ.مصطفى، أهلًا بحضرتك.. أهلًا يا مدام فريدة.. تفضلا بالجلوس.

فيردُّ والقلق بادٍ على وجهه: لقد دعوتنا لموضوع بالغ الأهمية على حد قولك، هل اشتكى أحدٌ من أحمد؟

ابتسمت بهدوء:

- بالعكس، أحمد مِن أفضل طلابنا ومن أكثرهم تميزًا.. ولم

يشتكِ منه مُدرسٌ مِن قَبل.. ولكن اليوم جئتُ بكم لموضوعٍ آخر، موضوعٍ أَهَمّ من مستواه الدراسي؛ كما قلت لكما: إن أحمد من أكثر الطلاب تميزًا في المدرسة، وقد كان الأول في ستة أعوام المرحلة الابتدائية، وعامي المرحلة الإعدادية حتى الآن.

فريدة: حسنًا.. نعلم ذلك، والفضل يعود لله، ثم لاهتمام المدرسة به.

ارتسمت على وجه فاتن ملامحُ الجِدِّيَّة؛ مما دفعهما للإحساس بأن الموضوع ليس هينًا وقالت:

- منذ فترةٍ بدأتُ بمراجعة ملفات الطلبة، وعندما جاء دورُه وجدتُ تقأريرَ متشابهةً من جميع الأسأتذة على مدار الثلاث سنوات الأخيرة، وتدور جميعها في إطار أنه طالب متميز بالفعل، فهو سريع التعلم والتطبيق، ودائمًا الأول على زملائه، ولكن ذكاءه الاجتماعي شبه منعدم..لم يشترك بأي نشاط.. وفي فترات الراحة يجلس وحيدًا يقرأ؛ قررتُ الجلوسَ معه من فترة، وها هو يبرهن لي على صحة ما قاله أسأتذته جميعًا.

صمتتْ لحظة وخَتَمَتْ كلامها: أظن أن ابنكما انطوائي بدرجة تصل للخطورة.

كانت الخاتمة كافية لتُعجز الأب عن الكلام، ومرت لحظاتُ صمتٍ ثقيلة، وبعد أن تأكدتْ فريدةُ من انتهاء كلام فاتن قالت:

- وما السبب في ذلك؟



ابتسمت فاتنُ وكأنها لم تقل شيئًا ذا بال وأتمَّتْ كلامها:

- إن وجود أحمد هنا بعيدًا عن وطنه وعائلة والديه من صغره قد جعل علاقاته الاجتماعية أقل، وكذلك مستوى ذكائه العالي قد جعله يرى زملاءه أقل قدرًا من أنْ يصادقهم، فهو يشعر بأنه أكبر منهم سنًّا؛ أنصحكم بالرجوع إلى مصر... هذا ليس كلامي، هذا كلام دكتور رشدي زوجي بعد أن أطلعتُه على المشكلة.

وللمرة الثانية تُعجز خاتمة كلامها مصطفى عن الكلام، فتردُّ فريدة مُوَجِّهَةً الكلامَ إلى مصطفى:

- لقد أجَّلْنا ذلك القرارَ عدةَ مراتٍ، ولكن أظنُّ أنَّ وقته قد حان.

***

في مطلع شهر يوليو من نفس العام...

يقف طفلٌ أبيضُ البشرة، بعينين بُنِّيتَيْنِ ورثهما عن والده، تظهر عليه علامات الهدوء على عكس ما يختلج في صدره من فرحة لرجوعه لبلده، يُلْقي نظرةً أخيرةً على منزله ويتجه للسيارة، يفتح باب السيارة والابتسامة على جانب وجهه..

***

(٢)

طلب المذياعُ الداخلي للطائرة من المسافرين العودة للمقاعد وربط الأحزمة استعدادًا للهبوط..

وبعد الهبوط وانتهاء الإجراءات المعتادة تحدث أحمد لأول مرة منذ ركوب الطائرة:

- أخيرًا وصلنا ! مرحبًا "باين فيلد."

نظروالده إليه باستغراب وهُمْ في طريقهم لخارج المطار:

- ماذا تقصد؟

- أقصد مطار القاهرة، لقد أنشأته الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٢ بمساعدات من الجيش البريطاني وكان اسمه وقتها "باين فيلد."

ابتسمت والدته، ولكن أوقفها مصطفى قبل أن تبدأ ثناءها المعتاد بإشارة من يده لسيارة الأجرة التي وقفت أمامهم، وطلب من السائق التوجه للفيلا القديمة الكائنة في الزمالك..



كان الطريق طويلًا ولكن استمتاع أحمد بالنظر ليلًا إلى القاهرة التي طالما حلم بالعودة إليها لم يشعره بأنهم قد استغرقوا أكثر من نصف ساعة في الطريق..

وفجأة حدث كل شيء بسرعة، توقفت السيارة بعنف مما أربكهم، نظروا أمامهم ليجدوا جثة ملقاة على الطريق..

ينزل السائق ويتبعه مصطفى، ليظهر من العدم رجلان مُلَثَّمان أحدهما يُشْهِرُ مُسدَّسَهُ والآخر يُمسك بسكين في يده، حاول السائق الهرب ولكن ضربة بظهر المسدس على رأسه أفقدته وعيه في الحال، جثى مصطفى على ركبتيه وهو ينظر بخوف لفريدة وأحمد، أخذوا من السيارة حقيبة مصطفى بما فيها من أوراق وأموال، وخرجت فريدة بعد أن هددها الرجل، وأحمد لا يمكنه التفكير، بدون كلام أشار حامل السكين إلى مجوهرات فريدة.. ولكنها لم تستطع أن تتحرك من فرط ذُعرها، فرفع السكين إلى رقبتها وقطع السلسلة مُحْدِثًا جُرحًا سطحيًا بعنقها، نظر الرجل لمصطفى ليرى ردَّ فِعْله، فقرأ شيئًا في عينيه؛ جعله يخرج مسدسه في يده الأخرى، وأشار إلى أحمد أن يترجل من السيارة، ووضع المسدس على رأس فريدة ليجبره على النزول بعد أن رفض، وهنا لم ينتظر مصطفى وانقض على الرجل بخفة شاب عشريني قد اختفت وراء شيب شَعْرِه، وأمسك بيد الرجل، ولكن انطلقت رصاصةٌ من المسدس مباشرة إلى رأس فريدة.

توقف الزمن للحظات، سمعوا جميعًا صدى الصوت، نظر الثلاثة رجال إلى بعضهم البعض، تأكدوا من حقيقة ما حدث.

- ماذا فعلت يا عنتر؟!

فانقض مصطفى على الرجل يكيل له اللكمات بهستيريا، ولكن الرجل في الخلف عاجَلَه برصاصة في منتصف ظهره، فسقط هو الآخر.

قام الرجلان في ارتباك وأخذوا حقيبة مصطفى ومجوهرات فريدة، وركبوا السيارة؛ ليجدوا أحمدَ جالسًا ينظر للجُثتين في وُجومٍ؛ فرفع أحدُهما المسدسَ ليضعه أمام وجهه، وما زال دخان الرصاصة التي قَتلتْ والدتَه يتصاعد من فُوَّهَته.. ولكن صاح الآخر: كفانا دمًا الليلة..لم يكن من المفترض أن يحدث كل هذا ! وفتح باب السيارة ودفع أحمدَ منها ليجد جثة أُمِّهِ تَقِيهِ من السقطة...

***



(٣)

١٥ /٧ /٢٠١٥

يغلق شاب في بدايات عقده الثالث المُنبه، يستيقظ ويمشي وجسده النحيف يتمايل مع كل خطوة يخطوها ناحية الحمام، غسل وجهه وأسنانه، ذهب إلى الصالة قطع ورقة اليوم الفائت في التقويم، يقف أمام التاريخ لحظات ثم يدير وجهه ويذهب ليحضر فطوره.

أثناء تحضيره الفطور يسبح مع ذكرياته وما حدث في مثل هذا اليوم منذ عشرين عامًا، يتذكر كيف تسبب في مقتل أمه وأبيه، فلولا رغبته الشديدة في الرجوع ما قام بتلك الخدعة التي استغرقت منه ثلاث سنوات، فقد اختلق فكرة انطوائه وأقنع بها أسأتذته الواحد تلو الآخر ثم أقنع أ.فاتن عندما طلبت مقابلته، كان الأمر سهلًا بسبب تلك الميزة التي امتلكها، والتي كانت أنه طفل صغير لا يمكنه التخطيط، ولكنّه خطط ونفذ ولِحَظِّهِ السيء مضطر أن يعيش بذنب مقتل والديه طوال عمره.

بعد أن أنهى فطوره تجول في شقته المكونة من غرفة نوم وحيدة، وغرفة معيشة، وغرفة صغيرة لاستقبال الضيوف حولَّها إلى غرفة مكتب لعدم استقباله ضيوفًا في العشرة أعوام الأخيرة، وقد أجَّرها منذ أربع سنوات بعد أن باع الفيلا الخاصة بوالده واشترى بثمنها عمارة من ثلاثة طوابق في أحد الأحياء الشعبية، أجَّر كل الشقق وترك لنفسه تلك.

دخل غرفة المكتب، وكانت بسيطة، بدون أي أثاث تقريبًا سوى المكتب وكرسيه في نهاية الغرفة، موضوع على المكتب شطرنج موزعة عليه بعض القطع بطريقة تفهم منها أن هناك مباراة تدور، على الحائط معلق مجموعة من الشهادات العلمية، ما بين دكتوراة فخرية في البرمجة اللغوية والعصبية، ودكتوراة في الهندسة الميكانيكة من جامعة "كامبيردج" وأخرى في الكمياء المعملية من نفس الجامعة، وشهادة تقدير نتيجة فوزه بالمركز الثاني في البرمجة والإلكترونيات على مستوى جامعات إنجلترا.. أخذ مفتاحه من على المكتب ثم ارتدى ملابسه وخرج...

***

يصل "أحمد" إلى مبنى جريدة "التنمية" في حوالي الساعة العاشرة، وهي جريدة تأسست منذ أكثر من ثلاثين عامًا، وأصبحت من أكبر الجرائد اليوم..



يدخل أحمد على الاستعلامات ويسأل عن مكتب رئيس تحرير الجريدة أ.علاء جابر، وعندما وصل لمكتب مساعدته الخاصة..

- أحمد مصطفى، من مكتب وزير الصحة، وأريد مقابلة أ.علاء للضرورة القصوى.

- بالطبع، وبعد مكالمة لثوانٍ تَفْتَح له بابَ المكتب.

يدخل أحمد ببذلته السوداء، ويستمر اجتماعه مع علاء لربع ساعة، ثم يخرج أحمد بخطى واثقة من المكتب والابتسامة تعتلي وجهه، وعلى الفور يخرج رجل في أوائل الأربيعنات بجسم رياضي ويطلب بلهجة آمرة من مساعدته الشابة أن يتم نشر نعي السيد وزير الصحة: حسام أبو شارب، حيث توفي الأمس الساعة الثامنة مساء نتيجة لأزمة قلبية.

***

بعدها مباشرة..

نزل أحمد من مبنى الجريدة واستقل سيارة أجرة إلى إحدى المحاكم حيث كانت محاكمة لشخص ذي منصب سابق مهم..

وقف أحمد أمامه لبضع دقائق وجال بنظره بين مصوري ومراسلي القنوات المصْطَفِّين أمام المدرسة في انتظار انتهاء المحاكمة.. ابتسم ابتسامة خفيفة، ونظر في ساعته فوجدها

الحادية عشرة.. حسنًا، لديه الوقت قبل خروج المتهَم من المحكمة لنقله..

ذهب بخطى واثقة تجاه أحد المصورين الشباب.. وبينما كان الأطفال - وأحيانًا كبار السن - يتعمدون الظهور أمام الكاميرا، جاء أحمد من خلفها ومال على أذن المصور هامسًا:

- أرى أنهم قد حَطُّوا من قدْرك بعدما صوَّرتَ الحقيقة يا إياد.

- عفوًا!

- لا تقلق.. لست منهم ولا معارضًا لهم.. فقط أعرض عليك فرصة لتكتسب مكانة أفضل.. أعرض عليك لَقْطةَ حياتك.

- مَن أنت وماذا تريد؟

ابتسم أحمد بهدوءٍ ودار حتى وقف أمام الكاميرا مباشرةً:

- البث متوقف.. أيًّا ما تصوره يمكنك أن تحذفه قبل أن يراه غيرك.. هل أنت مستعد؟

ظل لثوانٍ يُعَدِّل من ربطة عنقه بثقة تاركًا له مساحة للتفكير، ثم رفع إبهامه بحركة مشهورة تفيد أنه مستعد.. وتلك الابتسامة المميزة على وجهه، فما كان من المصور إلا أنْ رفع إبهامه بالمقابل..

بدأ أحمد كلامه بلهجة جدية..



- بدون مقدمات أو تفاصيل.. فإن السيد وزير الصحة: حسام أبو شارب، سيفارق الحياة اليوم في حوالي الساعة الثامنة.. هذا ليس تهديدًا بل نعيًا، فالوزير ميت لا محالة..

سكت برهة ثم أردف مبتسمًا:

- بصورة طبيعية. لعلكم تتساءلون مَن أنا ! ولكن يجب أن تسألوا أنفسكم كيف عرفت؟

استدار أحمد موليًا ظهره للكاميرا تاركًا المصور فاغرًا فاهُ ليس مما قال أحمد.. فهو لم يصدق حرفًا مما قاله..وإنما من الثقة التي يتحدث بها.

***

الساعة السادسة والنصف مساء نفس اليوم..

يجلس أحمد في شقته أمام الشطرنج مستغرقًا في التفكير، يرن هاتفه فيبتسم كمَنْ ينتظر تلك المكالمة فيجيب ببرود:

- ألو.. مَن المتحدث؟

فيجيبه صوت صياح قد استشاط صاحبُه غضبًا:

- كيف تجرؤ على فعلتك هذه؟ كيف تجرؤ؟.. لقد كدتَ أنْ تُغلِقَ لي الجريدة؟ هل تعلم أن انتحال شخصية سيزج بك في السجن، ستندم على فعلتك هذه.. لقد نشرتُ النعيَ بناءً على

إثبات الشخصية الذي تمتلكه، ولكن السيد الوزير بصحة جيدة.

رد أحمد ببرود:

- هل تسجل المكالمة؟

- نعم أُسجلها، وسأبلغ الشرطة، لن أتحمل عاقبة لعبتك السمجة هذه.

- هذه ليست لُعبة، انتظر قليلًا وستفهم.

وأَغلق الخط، وعاد بنفس بروده للشطرنج، وجلس يكمل لعبته..

***

"ينعي رئيسُ الوزراءِ ونقابةُ الأطباءِ السيدَ الوزيرَ الدكتور: حسام أبو شارب، الذي انتقل اليوم إلى رحمة الله في تمام الساعة الثامنة مساء عن عُمْرٍ يناهز أربعة وستين عامًا نتيجة لأزمة قلبية حادة، وقد شغَل سيادتُه منصبَ الوزارة منذ."....

يغلق أحمد التلفاز مقاطعًا المذيعة والابتسامة على وجهه ويغلق هاتفه وينام.

***



(٤)

في صباح اليوم التالي..

يستيقظ أحمد على صوت يدق في أذنه. أخذ فترة ليستوعب أن ذلك الصوت ما هو إلا صوت جرس باب شقته. والتي طال الأمد دون أن يمسه أحد. لا صديق ولا جار ولا قريب ولا حتى عامل النظافة قد مسّه منذ زمن.

قام أحمد وهو يتمايل كعادته عند استيقاظه. أخذ يحصر احتمالات من يزوره مبكرًا هكذا. فالساعة قد جاوزت التاسعة بقليل. يفتح أحمد الباب ليجد رجلًا ضخم الجثة. فبالإضافة إلى طوله الذي يجعل أحمد بجواره كقزم. فهو عريض ذو كرش مترهل وكف ممتلئ. وجده أحمد ممتدًا أمامه ليصافحه. دقق أحمد النظر في وجهه لعله يعرفه. فلم يتبين منه شيئًا خلف نظارته الشمسية التي تخفي عينيه. والشارب الثقيل الذي يخفي ما تبقى من وجهه.

مد أحمد يده وصافحه:

- أهلًا بحضرتك، تفضل يا حضرة الضابط.

ابتسم الرجل على الباب ليخفي دهشته وهو يعبر باب المنزل :

- محمد طه سيف النصر .

وأدار وجهه بحيث يواجه أحمد مباشرة، مختتمًا كلامه: مُقدم في المباحث.

- أهلًا بحضرتك، اعذرني على الفوضى فلست معتادًا على استقبال ضيوف منذ زمن.

- لا بأس، لقد رأيت أسوأ من ذلك... لقد بلغني شيء غريبٌ صباح اليوم، ولشدة غرابته لم يجرؤ أحد أن يجعله رسميًا.. هل سمعت عن د.حسام الوزير الذي توفي أمس؟

ابتسم أحمد وقام من جلسته: سأحضر لك قهوة، أظنك تشربها بسكر زائد.

- صحيح، في انتظارك.

رجع أحمد بعد زمن وجيز، وجلس قبالته وهو يناوله فنجان القهوة: تحت أمرك، عمّ كنا نتحدث؟



- هل صحيح أنك أبلغت بموت الوزير في الجريدة قبل موته بيوم، بل إنك أخبرتهم بميعاد موته، وكيفية موته!

- بالضبط

- كيف؟

اعتدل أحمد في جلسته فارضًا شخصيته على الحديث:

- هل الأمر رسمي؟. بالطبع لا.. لماذا؟ لأنه لا أحد سيصدق ذلك.. وذلك يجعل الورق مكشوفًا أكثر، وأستطيع أن أخبرك بما أريد أليس كذلك؟

- وهذا ما أريده.

- حسنًا، لن تصدقني.. لقد أخبرتُ الكثير قبلك ولم يصدقوني، وفي كل مرة أتذكر حماقتي وأعاتب نفسي على غبائي.

- لا أظنك غبيًا، لقد برهنتَ على ذكائك منذ أن طرقتُ الباب، ولكن ذكاءك قد يجعلك تخمن عملي أو نوعَ قهوتي، لا أن تخمن ميعاد موت شخص.

- أخبرني أولًا، هل علاء الذي أخبرك؟

- نعم، وسمعت كذلك المكالمة المسجلة بينكما؟ بالمناسبة كيف عرفتَ أنه يسجلها؟

ابتسم أحمد وهو يرتشف قهوته قائلًا:

- مَن يقول "السيد الوزير" في مكالمة إلا إذا كانت رسمية؟

- ولكن، كيف عرفتَ بميعاد موته؟ فليست مصادفة أن تصف مكان وميعاد موته أمس.. فيموت بنفس الطريقة اليوم.

- ليست مصادفة.. لا أؤمن بالمصادفات.

- ولا أنا أيضًا.

ومال أحمد للأمام كمن سيقول سرًّا خطيرًا.. ثم ارتشف من قهوته باستفزازورجع وأسند ظهره مجددًا دون أن يتحدث..

- لا أظنك تريد أن تلعب معي.

قالها محمد بعصبية فالتفت إليه أحمد ببرود:

- أستطيع أن أعرف متى يموت الناس

ثم ارتشف قهوته ببرود مجددًا.

- هل تظنني سأصدق ما تقول؟

- بالطبع لا، لم أعتد أن يصدقني أحد. لقد بدأ ذلك الأمر منذ عشرين عامًا، حدثت لي حادثة قربتني من الموت كثيرًا، ومنذ ذاك الوقت أستطيع أن أعرف متى يموت الناس.



قام محمد من مقعده فجأة ليهتز كرشُه بعنفٍ وقد استفزَّه بُرودُ أحمد:

- لقد نفد صبري، سأحقق فيما حدث، وإن كان لك رابط بما حدث للوزير ولو من بعيد، أعدُك بأنك ستتمنى أنك مت في حادثتك تلك.

خرج محمد وقد احمرَّ وجهُه من الانفعال، وهو يتوعد أحمدَ الذي لم يغادر كرسيه للحظة وظل مستمتعًا بقهوته كأنه يشاهد مبارة كرة قدم لا يأبه بنتيجتها، لم يتحرك ولم ينفعل، بل ابتسم لقهوته.

***

(٥)

في صباح اليوم التالي..

يستيقظ أحمد في ميعاده اليومي ليبدأ روتينه اليومي، يمشي مترنحًا كعادته نحو الحمام، ثم يعود بخطى بطيئة ليدخل المطبخ ويفطر فطوره المعتاد، وكذلك تبدأ فقرة الذكريات في تلك الفترة كالمعتاد.

***

دارت بخلد أحمد تفاصيلُ حدثتْ منذ عشرين عامًا، ولكنه يتذكرها كأنها حدثت قبل نومه مباشرة، يتذكر كيف قطع عليهم الطريق رجلان، يتذكر صوت الرصاصة التي قتلت والدته، يسمع صوت صداها يتكرر في أذنه بعد عشرين عامًا، يتذكر كيف تلقى والده الرصاصة من الخلف لتستقر في ظهره، بل يتذكر صوت الشاب الذي أنقذه قائلًا "كفانا دمًا اليوم"، ودفعه الآخر ليسقط على جثة أمه.



تذكر أحمد بعد ذلك أن والده لم يمت من تلك الرصاصة، وأنه وصل للمستشفى مع السائق، الذي تركه أمام المستشفى تجنبًا للتورط في التحقيقات.

***

رن هاتف أحمد لينتشله من خيالاته، يرد أحمد متشككًا:

- ألو.

- ألو.. أ.أحمد، مع حضرتك علاء، رئيس تحرير جريدة التنمية.

ابتسم أحمد وقد ارتاح صوتُه عما كان:

- أهلًا يا أ.علاء.. لقد انتظرت مكالمتك كثيرًا، كيف أستطيع أن أخدمك؟

- أريد أن أعتذر عن مكالمتي السابقة، فالأمر كان غريبًا..لقد علمت بذلك قبل حدوثه.. لا أستطيع التصديق، كيف حدث ذلك؟

- وهل يصح أن أفصح عن مصادري؟

ضحك علاء مجاملاً.. ثم قال:

- أريد مقابلتك.

- متى؟

- اليوم إذا أمكن.

- حسنًا، سأمر عليك بعد ساعة.

- في انتظارك.

يغلق علاء الهاتف وينظر لمحمد الجالس بجانبه ليرى رد فعله، فيجيبه محمد بإيماءة (مِيريْ) تريحه، وابتسامة تعيد له الثقة.

- شكرًا لك يا أ.علاء.

- دائمًا في خدمتك، ولكن فيمَ أتحدث معه؟

- حاول أن تعرف كيف عرف معلوماتِه، وماطِلْ معه بقدر الإمكان، إن كان هدفه الشهرة، أو المال، أيًّا كان ما يهدف إليه، أوهمه أنك ستوفره له.. أريدك أن تسرق لي ما تستطيع من الوقت؟

أجابه علاء ضاحكًا: لا تقلق، إنني أكسب رزقي من الكلام.

- وهل تستطيع أن تسجل المقابلة؟

- بالطبع سيحدث.

- حسنًا، ساذهب أنا.

قالها محمد وهو يغادر مقعده...

- بالتوفيق يا حضرة الضابط.

***



(٦)

بعدها بنصف ساعة..

يجلس محمد في المقهى المقابل مباشرة لمنزل أحمد، مديرًا ظهره للشارع وينظر أمامه في جمود، يرتشف الشاي من حين إلى آخر ونظره مثبت أمامه.

يمر الوقت عليه ثقيلًا، وبعد أن مر حوالي ثلث ساعة، يرى في المرآة المقابلة له أحمد مغادرًا المنزل من خلفه، انتظر محمد بضع دقائق.. ثم خرج إلى الشارع ليتأكد أن أحمد قد رحل...

نادى محمد على فتى المقهى.. فجاء له صاحب المقهى بالجلباب والعمة وهو يسلم عليه كمن رأى صديقًا غائبًا منذ زمن، لقد سلم عليه بطيبة وصدق شديدين يتنافيا مع مظهره الجاف..

- كيف حالك يا محمد باشا؟ لقد مرَّوقت كبير.

ابتسم محمد لرؤيته..

- صحيح.. منذ الحادث.. شهرين تقريبًا..لم أركْ مِن بعدها، على الرغم من زيارتك لي كل أسبوعٍ على الأقل قبل تلك الحادثة، ولكن الآن.. لقد انقطعت تلك الزيارات.

- لقد استرحنا ممن جعلني أزورك لأشتكيهم إليك في تلك الحادثة..كان تعويضي عن قهوتي التي احترقت أنهم احترقوا معها.. الحمد لله على كل حال.

- أريد منك خدمة يا حج صفوت.. هناك في تلك العمارة ساكن اسمه أحمد مصطفى، هل تعرفه؟

- أ.أحمد.. رجل طيب ومحترم، منذ جاء إلى المنطقة لم يشتك منه أحد.

صمَتَ صفوت قليلًا، وشعر أنه لم يقدم أي معلومة؛ فأردف بحماسٍ كمن تذكَّر شيئًا بعد نسيان..

- ولكن إن أردت أن تعرف شيئًا عن أي شخص هنا.. فالحاج ياسين يعرف كل شيء.

مال على محمد هامسًا:

- فهو دائمًا ما يتدخل في شئون غيره.. ما بالك بجاره الذي يسكن أمامه؟

- هل يسكن أمامه؟

- مباشرة.



- شكرًا يا حج صفوت.

غادر محمد بعد أن رفض صفوتُ الحسابَ، وهو يُقْسِمُ عليه بكل عزيز أن يبقى معه قليلًا ولم يتركه إلا بعد أن وعده أن يعود مرة أخرى..

***

صعد محمد الطوابق الثلاثة بمشقة لا تليق بضابط شرطة، حتى يصل إلى شقة أحمد وهو يسبُّ تلك الكيلوجرامات الكامنة في كرشه، يتحسس محمدٌ مكانَ المفتاح، ويخرج من جيبه أداةً صغيرة لفتح الأقفال، يُمسك الباب ويدفع سن الأداة المدبب في قفل الباب فينفتح، لقد كان مواربًا!

يدخل محمد حذرًا، يقف في وسط الصالة، الضوء يغمرها من النافذة المفتوحة في الجهة المقابلة، لا يجد شيئًا ذا بال، أخذ جولة سريعة في كل غرف الشقة، جذبه بالطبع المكتبُ؛ لأنه المكان الوحيد ذو الطابع الشخصي في الشقة ولكنه فضَّل أن يبحث بالترتيب ما دام الوقت يسمح.

دخل غرفة النوم، فتح درج الكمود ليجده فارغًا إلا من بعض أدوية الأرق، عاد لخزانة الملابس، ليجد بها بعض الملابس معلقة بنظام، يعود ليقف في منتصف الغرفة ليفكر فيما سيفعل.

خرج للصالة ووقف بمحاذاة النافذة ليرى ما تكشفه، وجد المقهى مكشوفًا بكل مَن فيه، هنا خطر بباله أن أحمد لم ينس

الباب مفتوحًا وإنما تركه كذلك بعد رؤيته وهو يدخل المقهى، ولكنه لم يلبث وقد اعترف بسخافة ذلك الخاطر، فلماذا قد يترك شقته إذا علم بقدومه! فالأولى أن يواجهه.

وقف محمد على باب غرفة المكتب، وهو يعلم أنه إذا وُجِد سر في هذه الشقة، فهو في هذه الغرفة..

بعد دخول محمد المكتب ببضع ثوانٍ، يرن هاتفه ليقطع الصمت الذي تراكم منذ وصوله فجأة، فيجفل محمد ويلتفت لا إراديًا نحو الباب، يتنفس بعدها الصعداء عندما أدرك أن ذلك الصوت من هاتفه، مد يده في جيبه وهو يعلم أنه الصحفي يبلغه أن مقابلته مع أحمد قد انتهت، وبذلك أمامه ربع ساعة حتى يرجع أحمد، ولكن خابت توقعاته، فالمتصل رقم غير مسجل عنده.. يرد بلهجة حادة متأسفًا على الدقائق التي على وشك الضياع في تلك المكالمة.

- المُقدم محمد سيف النصر.. مَن المتحدث؟

فيجيبه صوت ضاحك:

- صاحب الشقة.

يقف محمد متفاجئًا وعاجزًا عن الرد.

"إنه أحمد ويعلم أني بالشقة، لقد ضاعت المفاجأة التي كنت أبحث عنها، أيًا ما أبحث عنه فهو قد خبأه خارج الشقة.. سأرحل."



كان ذلك الحوار قائمًا في ذهن محمد في البضع ثوان التي تلت جملة أحمد السابقة.

- لقد نسيت مفتاح الشقة بداخلها، فمِنْ فضلك لا تُغلق الباب وأنت تغادر.

أغلق محمدٌ الخطَّ بعصبية، وأخذ طريقه إلى باب الشقة..

***

(٧)

بعدها بساعتين..

يرجع أحمد إلى المنزل ويجد الباب مواربًا كما تركه.. أغلق باب الشقة ودخل بهدوء ناحية المكتب.. ألقى نظرة سريعة وابتسم.. ثم عاد إلى غرفة نومه وهو يحدث نفسه بصوت مسموع:

- إذن، لقد أخذ القصة.

يقف أحمد متفاجئًا لبرهة عندما رأى محمدًا يجلس على سريره وينظر له مبتسمًا..

- والمذكرات أيضًا.. وأخذت بيدقًا من الشطرنج لتكون بصماتك معي إن احتجتها.. ولكن إن أردت الصراحة؛ فإنك تمتلك شقة مميزة، يظهر الترتيب فيها في كل شيء.

- لن تفيدك القصة في شيء؛ لأنك لن تفهمها.

- غريب أن تهتم بالقصة ولا تهتم بمذكراتك.



- المذكرات سترغمك على تصديقي.. لكن القصة لن يفهما إلا من كتبتها لأجله.

- سنرى.

- لِم لَم تغادر؟

- كنت على وشك المغادرة.. لقد خدعتني بذلك الاتصال لبرهة، وجعلتني أشك للحظة بأنك أذكى مني وأنك ستسبقني بخطوة دائمًا.

ثم قام من السرير بصورة درامية:

- لقد أحبطتني.. ولكن بعد التفكير ظهر في عقلي سؤال واحد لماذا اتصلتَ قبل أن أدخل المكتب مباشرة؟ بالطبع ليست صدفة.. وبسهولة عرفتُ مكان الكاميرا المخبأة في الشباك، لذلك كان مفتوحًا بهذا الشكل، لكي يظهر باب المكتب للكاميرا.

- أعلم أنك لم تُحضر ردًا لتلك المناقشة، وأنت إن لم تُحضر لشيء لن تستطيع فعله.

- ماذا تريد؟

- أريد أن أطبق العدالة.. أنت مَن قتلتَه.

- في نشرة الأخبار قالوا إنه قد تُوفي بصورة طبيعية.

- هناك العديد من وسائل القتل التي تبدو بطريقة طبيعية.

- للأسف لا أعرفها، فأنا لم أهتم بذلك من قبل.

ثم ابتسم واستعاد رباطة جأشه..

- حسنًا، ما رأيك بالشقة؟

- جيدة، ولكن أي شقق تلك التي لا تحتوي على مرآة.. لم أجد مرآة واحدة في المنزل.

- لا أحُبها، الأمر نفسيّ لا أكثر.

اتجه محمد إلى باب الشقة مغادرًا وقد اكتفى من الحديث، ثم توقف عند الباب وكأنه تذكر شيئًا:

- هل تعلم ما يجعلك حرًا حتى الآن؟ الشكوي التي قُدمت فيّ من مجهول من شهر تقريبًا. جعلت الإدارة تتصيد لي أي خطأ.. لم أعلم مَن قدَّمها حتى قابلتك.. أنت مَن قدَّمها.

ابتسم أحمد ولم يرُدّ بينما محمد خرج وصفق الباب بعنف.. وبمجرد خروجه ارتمى أحمد على السرير وظل بصره شاخصًا نحو السقف لدقيقة أو أكثر.. ثم ارتسمت على وجهه تلك الابتسامة لتطمئننا أنه لا زال حيًا.

****



(8)

في عصر نفس اليوم..

يجلس المُقدم محمد في مكتبه معه قهوته الخاصة ذات السكر الزائد وبلهجة حازمة يأمر العسكري بمنع أيًا كان من الدخول ولو كان وزير الداخلية على حد قوله..

يعلم محمد اليوم أنه قد خطا خطوة تسبق أحمد، أيًا كانت خطته، وأيًا كان هدفه فخطوته التالية سيتم إعادة حسابها، وهذا يُحسب لمحمد فلقد رأى في عينيه اليوم الخوفَ لأول مرة منذ أن تقابلا، الأمر أصبح ممتعًا بحق..

فتح محمد القصة المطبوعة على ورق أبيض ومربوطة من الجانب باسطوانة بلاستيكية ذات أفرع تمر بثقوب مخصصة لها في الورق وقد بدأ بالقراءة..

"إهداء:

إلى مستحيلي الثالث..

إلى الخِلِّ الوفي..

إلى أسامة على..

بعدما يحدث ما سيحدث سأغدو مشهورًا ولكن أظنني سأكون ميتًا ولن يتمتع أحد بشهرتي.. وإن كان من حق أحد أن يتمتع بها فهو أنت..

عندما تعود إلى مصر، ستكون لي أسطورتي، وسنتشاركها..

لطالما كنتَ بجانبي.. شكرًا لك"!

الصفحة التالية..

"تنطلق سيارة الأجرة بعد أن أتمَّ عددَ ركابها شابٌ في أواخر العشرينات من عمره، ينظر لكل ما يدور حوله على أنه خيال.

انطلقت السيارة بسرعة غير معهودة حتى بالنسبة لمستهتر مثله في شوارع ضيقة، وبعد فترة قصيرة أرغمَ الخوفُ ذلك الشابَ على النزول من السيارة قبل محطته، فتلك كانت تلك أول تجربة له مع سيارات الأجرة، ولا أظن السائق قد ترك لهذه التجربة انطباعًا جيدًا.

يُخرج الشاب هاتفه المحمول ويحاول الاتصال أكثر من مرة حتى يرد:



- ألو، أنا حمدي.

- أعلم ذلك، لماذا تتصل؟

-أريد أن أسترجع السيارة، لقد بعتُها بأقل من نصف ثمنها وكنتُ مخمورًا وأنت تعل...

فقاطعه المتَّصَل به بحدَّةٍ:

- لقد بعتَها برضاك، ولا أنوي أن أعيدها لك.. بل لا يمكنني أن أفعل ذلك؛ لقد بعتها اليوم، وكانت صفقة جيدة.

- أعلم أنك لم تفعل، أنت تعلم أن خالى قد تجاوز التسعين عامًا الشهر الماضي، قد يموت قبل أن ننهي المكالمة، وستنتقل لي كل أمواله، حينها سأدفعه لك وسأعوضك عن صبرك أيضًا لكن أرجوك ألا تبيع السيارة.

- لقد بعتُها بالفعل، وحظًا سعيدًا مع خالك، أظن أنه مَن سيرثُك، فأنت تقترض منذ أكثر من ثلاث سنوات على أمل أن يموت.. لا تتصل مجددًا لأني مشغول هذه الفترة.. إلى اللقاء.

أُغلق الهاتفُ في وجهه، وأُغلقت معه كلُ سبلِ السعادة بعد تلك المكالمة، فهذه السيارة لم تكن مجرد سيارة غالية كغيرها مما ترك والده، بل كانت ذكرى، فلقد اشتراها له والده عندما تخرج من كلية الهندسة، وقد توفي بعدها بقليل.

ظل يتمشى بعدها ببطء إلى المنزل، مُمسكًا كتابًا آخر من تلك الكتب التي يُنفق كلَّ ما يملك عليها، فتلك الكتب نادرة، وغالية

جدًا لدرجة تجعله لا يأمن أن يتركها في البيت بدون حراسة ولكنه لا يحقق أي نتيجة.

وقف أمام العمارة التي يمتلك بها شقة واحدة بعد أن كانت كلها ملكه، ولكن القمار والخمور أفقدته إياها في ثلاث سنوات، تحسّر عندما وجد سيارة في المكان المخصص لسيارته أمام المنزل، لم يستطع معرفة مَن يملك تلك السيارة؛ لأنها مغطاة ولكنه توقع أنها لذلك الجار البغيض، لطالما اختلفا على ذلك المكان، ولكن هذه المرة لم تَحْدُثْ معه بشأن ذلك المكان المشاكلُ كعادته.. فما الفائدة من المكان إن غابت السيارة؟

بعد قليل من الصعود دخل منزله ووضع كتابه أمامه، دون أن يُبدّل ملابسه فعل ما يفعله كل يوم، أحضر الشمعَ والمِسكَ والسبحةَ وقطعَ القماش التي اشتراها من مكان معين قد وُصف له خصيصًا.. صنع دائرة صغيرة من الشمع، ثم دائرة أوسع من القماش، ووضع السبحة في مركز الدائرتين، وأخذ يطوف حول الدائرة يقرأ في (طَلْسَمٍ) من كتابه، ويرش من المسك على القماش طوال دورته.

حتى انتهى من القراءة، ووقف ليرى الجنَّ الذي من المفترض حضوره، ولكن ككل مرة لم ير غير خيبته بادية للأعمى.

جلس منهكاً وطلب بالهاتف وجبة تصله للمنزل."



ينتزعِ الهاتفُ محمدًا من القراءة، فأمسك الهاتف وعلى وجهه الضجر..

- ماذا تريد يا مازن؟

- يجب أن تفتح التلفاز الآن.. الأمر يتعلق بأحمد مصطفى.

ينهض بسرعة ويفتش عن جهاز التحكم وهو يتحدث بانفعال..

- ماذا حدث؟

- إنه على الهواء مع ريتال عرفة.

أغلق محمدٌ الهاتفَ دون سلام في وجه مازن، الذي تعود على ذلك منذ انتقل من قسم مكافحة المخدرات إلى العمل مع محمد، يتعامل معه دومًا على أنه ابنه الذي لم ينجبه لذلك يتصرف معه كما يتصرف الآباء، وأغلق الهاتف في وجهه.

يجلس محمد فاغرًا فاه يستمع إلى التلفاز.. ومع كل كلمة يسمعها تزيد عيناه اتساعًا ويزيد عقله سرعةً ليعالج ما يحدث في محاولة للفهم.. فمنذ عشر دقائق كان واثقًا من أنه هزم أحمدَ نفسيًا، وفي طريق محتوم آخره انهيار أحمد، ومعرفة كيف عرف بموت الوزير.. توقف عقل محمد مع ابتسامة أحمد في التفاز بعد نهاية كلامه، وصاح بغضب جعل العسكريَّ في الخارج يهرول ليفتح الباب:

- ماذا يحدث؟

عندما رأى العسكريَّ أمامه، قال له: لا تدخل أحدًا المكتب إلا مازن، وكتب شيئًا على ورقة وأكد عليه أن مازن يجب أن يقرأ هذه الورقة بمجرد وصوله، ومسك هاتفه ليطلب رقمًا.. يسمع جرسًا للمرة الأولى..ثم تم غلق الهاتف.

ترك مكتبه ونزل مسرعًا لبيت أحمد..

***



(9)

منذ ساعتين مضتا..

يُمسك أحمد هاتفه في المنزل يطلب رقمًا وينتظر الجرس حتى يرن..

- ألو.. هل هذا هاتف إياد؟

- إنه هو

- كيف حالك اليوم؟

- بخير الحمد لله.. لكن من المُتصل؟

- أنا مَن قابلك أمام المحْكَ...

قاطعه إياد بحماس...

- أهلًا بك، لقد كنت صادقًا لا أعلم كيف ولكنك كنت صادقًا.. لقد حاولت البحث عنك ولكن لم أدر من أين أبدأ.. حمدًا لله أنك حدثتني.

- لماذا لم تذع ما صورناه؟

- في الحقيقة لم أصور شيئًا.. فلقد اعتقدتُ أنك أحد المتطفلين الذين يرغبون الظهور أمام الكاميرا.. وقد تعاملتُ معهم كثيرًا.. أعتذرعن ذلك، لقد أسأت تقديرك.

- حسنًا، لقد أضعتَ لتّوك فرصة حياتك...

ثم سكت لثوانٍ وأردف: .. الصغرى.. ولكن إن أردت.. فأنا أقدم لك الفرصة الكبرى الآن.

- كيف؟ هل هناك من سيموت؟

قالها إياد بحماس؛ ليضحك أحمد:

- بالطبع هناك من سيموت.. هذه سنة الحياة.. أريد أن أظهر على التلفازعلى الهواء، أريد أن أظهرمع ريتال عرفة بالذات.

***

بعدها بساعتين..

يجلس أحمد مبتسمًا للمذيعة أمامه وهي تتأكد منه مما وصلها من الإعداد، وراجعتْ معه الأسئلة التي سيتم طرحها عليه..

لم تفارق أحمد الابتسامة طوال الوقت حتى بدأ البث..

"أهلًا ومرحبًا بكم مجددًا.. هذه الفقرة قد تكون أغرب فقرة في تاريخي كمذيعة.. فكما تعلمون فإن مهمتنا الأساسية عرض كل ما



يحدث، وإن لم نصدقه.. والمُشاهِد وحدَه هو الحَكَم.. يمكنكم التصديق أو الرفض.. ولكن يبقى علينا مسؤولية نقل ما يصل لنا بأمانة وحيادية.. ضَيْفي اليوم يتزعم أمرًا غريبًا قليلًا..كل ما سيقول فهو على مسؤوليته الشخصية.. أهلًا أ.أحمد مصطفى"

ابتسم أحمد ابتسامة ودودة..

- أهلًا بحضرتك يا أ.ريتال.

- مبدئيًا: هل حضرتك مُتعلم؟

- الحمد لله.. حاصل على أكثر من دكتوراة في أكثر من مجال من جامعات أوروبية، يمكن للسادة المشاهدين بقليل من البحث التأكد من ذلك.

- لم أسألك لأقيمك، ولكنني كنت أتأكد أنَّ الأمر بعيدٌ عن الشعوذة والدجل.

ضحك أحمد..

- بالطبع لا

- حسنًا، الكاميرا أمامك يمكنك إخبار السادة المشاهدين ما ترغب به.

- اسمي أحمد مصطفى عبد الرحمن، وأستطيع معرفة متى يموت الناس!

هنا تدخلت ريتال..

- يجب أن ننوه أن أيًا ما يقوله أ.أحمد فهو على مسؤوليته الخاصة.

- لن أضيع الوقت بوصف ما يحدث، ولكن يمكنني أن أبرهن لكِ ولجميع المشاهدين.

- كيف؟ هل تعرف متى سأموت؟

ضحك أحمد مجددًا ونظر في ساعته:

- الأمر لا يسير بتلك الطريقة.. ولكن إذا أردتي معرفة ميعاد موت أحدهم.. فإن أ.علاء جابر رئيس تحرير جريدة التنمية.. سيموت ((ورفع ساعته مجددًا)) الآن.

قالها أحمد ببساطة كأنه يطلب العشاء من النادل وتبعها بابتسامة هادئة..

((في هذه اللحظة التقط محمد هاتفه واتصل بعلاء ولكنه لا يرد.. اتصل مرة أخرى ولكن الهاتف قد أُغلق)).

تعجز المذيعة عن الرد لثوانٍ ثم تتحدث إلى أحد الواقفين خلف الكاميرا..

- أريد تأكيدًا أو تكذيبًا الآن.

تمر دقائق لا يحدث فيها شيء أمام الكاميرا..يجلس أحمد مبتسمًا وتجلس المذيعة متوترة ترفع يدها إلى أذنها كل بضع ثوانٍ..



- لم يتم تأكيد الخبر، وكذلك لم يتم تكذيبه حتى الآن، ولكن آخر ما وصلنا أن أ.علاء في شرم الشيخ وقد غادر الفندق منذ أكثر من ساعة ولا نعرف أكثر من ذلك.. سنوافيكم بكل ما يصلنا أولًا بأول.

***

بعدها بنصف ساعة..

تجلس ريتال مع ضيف آخر وقد تناست ما حدث مع أحمد في الفقرة السابقة لتتمكن من التركيز في تلك الفقرة، تأخذ ريتال الورق من المُعد خلفها وتقرأ ما فيه لتفقد السيطرة لثانية ثم تلتفت للكاميرا وتتحدث بمزيج من الأسى والثبات:

- لقد تأكد الآن موتُ أ.علاء عقب انفجار قاربه في البحر، وفي انتظار تقرير المعمل الجنائي لمعرفة إن كانت حادثة أم بفعل فاعل.

ثم مالت إلى الوراء وتركت الورق بجوارها في إشارة واضحة بالخروج عن النص المقرر لها وقالت بتحدٍّ:

- يجب على الشرطة أن تقبض على ذلك المُنَجِم والبحث فيما قال وسماع تفسيره لما حدث، فما حدث هو استخفاف بعقولنا وعقول المشاهدين جميعًا، الأمر واضح، لقد قتله واحتاج لحجة غياب فاستغل وجوده هنا ليبعد الشبهة عنه وليصبح مشهورًا.

ترفع يدها إلى أذنها لتستمع لما يُقال لها..

- أرأيتم؟ التحقيق الأولي للمعمل الجنائي يكشف قنبلة قد انفجرت في القارب، يجب القبض على ذلك المعتوه.

قالت الجملة الأخيرة وقد انتفخ وجهها وتغير لونه متجاهلة كل قواعد الوداعة التي تلقتها في مدارس الرقة.. لقد كانت صادقة لأول مرة.

***



(١٠)

بعدها مباشرة..

يصعد محمد في عمارة أحمد حتى وصل إلى باب شقته، وظل يطرق الباب بعنف، ومن كثرة الضجيج فتح الباب جار أحمد..

- هل تريد أحمد؟ لا أظنه موجودًا فهو منذ مدة وهو يغادر البيت كثيرًا، أظنه قد وجد وظيفة.

تذكر محمد كلام الحاج صفوت في المقهى عن الحاج ياسين ذلك الجار الفضولي الذي يدس أنفه في كل شيء فالتفت له بابتسامة ودودة..

- سلام عليكم يا حج ياسين.. أنا المقدم محمد طه سيف النصر.

- أهلًا بحضرتك يا باشا، تفضل..تفضل.

دخل محمدٌ شقةَ ياسين، وكان يعلم أنه لن يخرج خالى الوفاض..

- ماذا تشرب؟

- كوب ماء فقط.. لقد تعبتُ من الصعود.

- تفضل يا باشا.

بدأ محمد الحوار بعد أن شرب كوب الماء على دفعة واحدة..

- ما رأيك بأحمد؟

- شاب محترم جدًا.. وكريم للغاية، هل تعلم أنه قد يصبر على الإيجار لأكثر من أسبوعين، ففي مرة..

قاطعه محمد محاولًا تجنب أحاديث لا قيمة لها:

- لا أقصد ذلك، أقصد هل لاحظت عليه شيئًا غريبًا؟

- بالعكس، هو منضبط في كل شيء، كنت أحتك معه كثيرًا عندما كنا نجلس على المقهى، ولكن من بعد يوم حادثة المقهى لم نتقابل كثيرًا.. هل تعلم تلك الحادثة؟

- بالطبع، هل كان معك يوم انفجر المقهى؟

- نعم، فأنا لن أنسى ذلك اليوم أبدًا، فقد كان يومًا غريبًا بحق.. سمعت باب شقة أحمد يُفتح؛ ففتحت الباب لأراه إن كان داخلًا أم خارجًا.. ليس فضولًا مني يا حضرة الضابط، ولكنه يعيش في شقته وحيدًا ويجب أن يطمأن عليه أحد من آن لآخر.. وجدته مرتديًا بذلته السوداء وربطة عنق سوداء أيضًا بمنظر مُقبض، فسألته متهكمًا إن كان ذاهبًا لعزاء، فرَدَّ أنه



بالفعل سيذهب لعزاء، فلقد مات (مانجيستو) منذ نصف ساعة تقريبًا، لم أدر وقتها إنْ فرحتُ أم حزنت! (مانجيستو) كان من أكثر بلطجية المنطقة شرًا لأكثر من ثلاثين عامًا، لم أملك أن أقول سوى إنَّا لله وإنا إليه راجعون، استاذنته أن ينتظرني حتى أرتدي ملابسي وأنزل معه، وكانت حوالي الرابعة والنصف، ونزلنا أمام البيت، وجدنا (مانجيستو) وعنتر يجلسان على المقهى وحدهما، فكما تعلم لا يجرؤ أحد أن يجلس معهما حتى الحاج صفوت صاحب المقهى.. أتذكر وقتها أنني قد علا صوتي وأنا أقول لأحمد مثل هذا لا يموت، بل يظل حيًا كي يرهب الناس.. لقد كان سيئًا بالفعل... وسبحان الله! لم أتم الجملة حتى انفجرت القهوة بعدها بثوان..كانت في الخامسة تقريبًا.

استمع محمد لكلام ياسين باهتمام بالغ لاحظه ياسين ودفعه للاهتمام بالتفاصيل، وحاول بعدها ياسين بحس الرجل الفضولي أن يعرف لماذا يسأل عنه الضابط، ولكن انتهى الموضوع بأن محمدًا أخبره تلك الكذبة المعتادة بأنه تقدم لعروسة وأهلها يسألون عنه.

وبينما هم جالسون سمع محمد صوت باب الشقة المقابلة يُفتح، فخرج مسرعًا إلى أحمد واعترض الباب قبل أن يغلقه محمد.. فابتسم له أحمد:

- كنتُ في انتظارك، لمْ تتأخر كثيرًا.

- سأقبض عليك الآن بتهمة قتل علاء، الإدارة هي مَن أمرت بذلك.. الأمر أصبح رسميًّا، أخيرًا أصبحت تحت سيطرتي، وسأعرف ما أريد منك بطريقتي هناك.

قالها محمدٌ بِغِلٍّ يوضح نيتَه تنفيذ ما يقول حقًّا، فابتسم أحمد تلك الابتسامة التي تُربك محمدًا دائمًا بسبب ما يقال بعدها..

- إنني أحترمك يا حضرة الضابط، لا لشيء سوى لأنك ذكي، ولكنك بنفسك اعترفت من قبل أنني أيضًا ذكي.

- ماذا تقصد؟

- لا يصح أن نستكمل حديثنا دون الدخول.. تفضّل.

- ماذا قصدت بما قلتَ؟

قالها محمد وهو يدخل.. قام أحمد إلى المطبخ وعاد بعدها بدقائق يحمل فنجالين من القهوة.. ناوله قهوته وهو يقول:

- هل تعلم شيئًا عن الخيرزان؟ إنه النبات المُفضل لي.

- ما دخله بما تقول، أيًا كان لا تقلق.. سيكون لدينا الكثير من الوقت لنتحدث عنه عندي..

ضحك أحمد قائلًا:

- لماذا القلق والعجلة ما دمتُ لن أستطيع الإفلات منك؟ سنشرب القهوة ونغادر، وأثناء شربي للقهوة دعني أحكي لك لماذا أحب تلك الشجرة.



- حسنًا، لا مانع من فنجال قهوة مع صديق، لماذا تفضلها؟

- أحبها لأنها تشبهني.. حيث إنك إذا اشتريت نبتة خيرزان وزرعتها وظللت تسقيها لن تنمو، تمر سنة والثانية والثالثة والرابعة ولا تنمو، تفقد الأمل بها، يصبح الأمر كله روتينًا، ولكن إذا استحوذ عليك الإصرار لتستمر بسقايتها للسنة الخامسة، تبدأ شجرة الخيرزان في النمو، ولكنها تكافئك على صبرك، فتنمو من سبعين سنتيمتر إلى متر كامل في اليوم، كل السنين السابقة كانت تزرع شبكة قوية من الجذور لتتحمل نموها المفاجئ.

ارتشف قهوته وأغمض عينيه من جمالها، ثم قال وهو يفتح عينيه ببطء:

- أظنني أشبهها، ما أفعله الآن ليس وليد اللحظة، وطالما لا تعلم لماذا أخبر الناس بلعنتي الآن بعد ما تكيفت معها، لن تسبقني أبدًا، ما يحدث الآن يحدث لأنني أردت حدوثه، ستقبض عليَّ الآن، وتصطحبني إلى السجن، ولكنك لن تجلس لتتحاور معي وتعرف ما تريد بطريقتك كما هددتني؛ لأنك ببساطة لن تكون متفرغًا.

قالها أحمد وارتشف قهوته مجددًا وابتسم لمحمد ببرود كأنه ينتظر سؤاله..

- وفيم سأكون مشغولًا؟

- في إثبات براءتي.

قالها وهو يبتسم له في استفزاز..

- هل تعلم ما المميز بك حقًا؟

- قدرتي على اكتشاف متى يموت الناس؟

قالها أحمد متهكمًا، ليضحك محمد قائلًا:

- بل ثقتك مما تقول كأنه حقيقة، جعلتني أصدقك لثانية.. ولكن الحقيقة نعلمها كلانا، أنت مَن قتلت الاثنين.

- لا لم أقتلهم، ولم أقتل في حياتي، إنني عدو الموت..لم أكره في حياتي أكثر منه، ليس لأنني أخافه ولكن لأنني رأيته.. رأيته بكل تفاصيله، بكل قبحه، إنه ينتقم منك باختطاف مَن حولك.. هل رأيت جُبنًا أكثر من هذا؟

- كيف تراه؟ أقصد أين ترى التاريخ؟ أهو مكتوب أم يظهر بعقلك أم يأتي في الحلم.

- يتشكل من ملامح الشخص أمامي..لا أعلم كيف ولكن تتغير ملامح الشخص لتُظهر تاريخًا أو تُظهر تاريخًا وميعادًا.

مال محمد إلى الأمام وقال بتحدٍ:

- متى سأموت؟

- الله أعلم.



- كيف لا تعرف متى سأموت؟ ألستَ المُنَجِم الذي تتحدث عنه مصر كلها؟

- كذب المنجمون ولو صدقوا يا باشا.. فالأمر لا يجري على هذا النحو، فأنا أرى تاريخ موعد الناس الذين سيموتون في غضون أيام، وكذلك تظهر لي في لحظات الانفعال منهم أو مني.

- حسنًا لقد انتهت القهوة، سنذهب للمديرية لنشرب القهوة هناك، أظنك لن تنساها مطلقًا.

ضحك أحمد من ذلك التهديد وسأله إن قرأ القصة؟

- بدأتها، أعجبني أسلوبك، وسأبلغك برأيي النهائي بعدما أفرغ منها.

***

(١١)

بعد أن تم تسليم أحمد إلى المديرية اختفى محمد في مكتبه بعيدًا عن الصحافة التي تبحث عن أي شيء يتعلق بالمُنَجِم - كما يُطلقون عليه – ولا سيما الضابط الذي قبض عليه.. فلقد ذاع صيتُ محمدٍ نتيجة عرض المقطع المُصور له وهو يقتاد أحمدَ إلى المديرية..

بعد تفكير قليل، بدأ محمد بإكمال القصة التي لاحظ اهتمام أحمد البالغ بها:

"أغمض حمدي عينيه في انتظار الطعام، فكما يفعل كل يوم، فإنه يغفو على كرسيه هذا ليستيقظ على صوت جرسي الهاتف والشقة معًا ليعلنا وصول فتى التوصيل.

ولكنه استيقظ فجأة عندما شعر بالظلام من حوله، جلس قليلًا يتأفف من انقطاع الكهرباء، ولكن جذب انتباهه طيفٌ لشخص بجواره ظهر فجأة، هبّ حمدي مُدافعًا عن نفسه، وعادت الكهرباء دُفعة واحدة أرغمته على إغلاق عينيه لثوانٍ، ثم فتحهما



ببطء ليرى ظهر كائن غريب، فهو إنسان طبيعي لولا طوله الزائد بشكل شاذ، وأذنيه الطويلتين والتي كانتا كقطعتي لحم زائد على رأسه، فهما مطموستان على شكل بيضاوي طويل، كانت هيئته بشرية.. ولكنها غير متناسقة.

وقف حمدي أمام ذلك المخلوق مشدوهًا لا يعلم ماذا يفعل، فقد حاول تحضير الجن لأعوام، ولكنه كان جاهلًا بعالمهم، فعلى الرغم من أمله في مقابلتهم، لم يتخيل يومًا أنه سينجح ويقابل أحدهم في الواقع..

- من أنت؟

خرجت الكلمتان من فمه بوجوم كأنه مُنوم مغنطيسيًا

استدار الكائن ليواجه حمدي، وصُدمَ حمدي عندما رأى وجهه، حيث كان وجهًا بشريًا عاديًا مبتسمًا – وقد توقعه أشد سوءًا - وأجابه: أنا زيد..هذا اسمي

- ماذا يحدث؟ كيف...

قاطعه "زيد" ضاحكًا: حسنًا.. أمسكتَ كتابًا لتحضير الجان، ثم انقطعتِ الكهرباءُ، وظهرتُ بشقتك فجأة فهل تتوقعني فتى التوصيل؟

ضحك قليلًا ثم قال: أنا زيد؛ جنّي، وقد حضرت اليوم بإرادتي بعدما وجدتك تريد مقابلة أحد من بني جنسنا، حسنًا ها أنا ذا لماذا تصّر على استدعائنا؟

لم يردّ حمدي، وأظنه لم يسمع أيضًا، لقد غرق في خيالاته ولكنَه تذكَّر القاعدة الأولى، يجب أن يُخيف الجن كي يكون طوعه ثم يطلب منه ما يريد.. فاستجمع شجاعته وقال: حسنًا يا زيد، هذه شروطي.. ألَّا تتأخر إن طلبتك، وألَّا...

قاطعه زيد بضحكة عالية..

- هل تظن أنك من أحضرني اليوم بقطعتي قماش باليتين وكتاب مهترئ؟ لقد حضرت بإرادتي ويمكنني المغادرة في أي وقت.

- لماذا حضرت؟

قالها حمدي باستسلام..

- أريد أن أفهم لماذا تُصّر أنت وعددٌ كبير من بني جنسك على استدعائنا، وبالطبع ظهرت لك خصيصًا نتيجة الأزمات التي تمر بها؛ سأساعدك.

- ولكن هل هذا وجهك الحقيقي؟

- أؤكد لك أنك لا تريد أن تراه.

- كيف ستساعدني؟

- تمنى ما تريد، ماذا كانت قائمة أحلامك عندما يظهر لك أحدنا؟

- أتعني أنني أستطيع أن أطلب ما أريد الآن؟



- وسيكون لك بلمح البصر.

- حسنًا يا زيد، الأمس لعبتُ قمارًا ولم أكن محظوظًا وكنت مخمورًا كذلك، وعندما خسرت ما معي، تنازلت عن سيارتي بأقل من نصف ثمنها وهذا ليس عدلًا

- هل معك صورة للسيارة ولمن بِعتها له؟

مسك هاتفه وبحث قليلًا حتى وجد صورة له ولصاحبه أمام السيارة وعرضها عليه، نظر إليها زيد لثوانٍ وأخبره بأن السيارة أصبحت تحت المنزل والمفتاح بداخلها.

انطلق متشككًا نحو النافذة ونظر منها فوجد سيارته في مكانها المعتاد ولم يصدق نفسه.. إن الأمر أصبح حقيقة!!

- ولكنني لا يمكن أن آخذها بدون أوراق تثبت ملكيتي لها، فالأمر مختلف بالنسبة لنا.

قالها حمدي بخيبة أمل فضحك زيد قائلًا:

- لا تقلق، فهي ليست المرة الأولى التي أزورها مصر، عقد تنازله عن السيارة على مكتبك بجانب ذلك الورق المرسوم وخانة الاسم فارغة يمكنك أن تضع بها اسمك لتصبح ملكك، وكذلك رخصة السيارة بجوارها.

حضن حمدي الأوراق وكاد أن تظهر له أجنحة.. سأله زيد مبتسمًا."...

يسمع محمد طرقات الباب، فيسمح بالدخول، يدخل شاب ثلاثيني أبيض البشرة، حليق الوجه، متوسط الطول يقف أمام مكتب محمد الذي يصافحه ويسأله عن أخباره..

- كيف حالك يا مازن؟ لقد مر أكثر من أسبوعين دون أن أراك.

- لقد كنت مشغولًا بمرض زوجتي، وما إن تحسنت صحتها حتى عدت للعمل ولكنني لم أجدك، ووجدت تلك الورقة التي تركتها لي، فبدأت البحث من جديد.

- كيف حال زوجتك الآن؟

- إنها بخير، الحمد لله، وقد مر الأمر بسلام.

- ماذا فعلت فيما طلبته منك؟

- لقد بحثت في دوائر الهجرة والسفارات وشركات الطيران عن كل المصريين بالخارج باسم أسامة علي، وقد ظهرت عشرات النتائج، ولكن بعد تحديد الفئة العمرية المناسبة ليكون ما زال شابًا، وأنه يكون قد درس في مرحلة ما بجامعة من الجامعات الأوروبية التي درس بها أحمد مصطفى، وجدنا نتيجتين فقط.. أحدهما: أسامة علي أنور كان يدرس الكيمياء في جامعة كامبيردج بينما كان يُحضر أحمد الدكتوراة في نفس الجامعة، والثاني: كان منافسًا لأحمد في مسابقة البرمجة وقد تفوق عليه وحصل على المركز الأول في مسابقة البرمجة على مستوى جامعات إنجلترا، وكانت المرة الأولى التي يحصل على



المركزين الأول والثاني شخصًان من بلد واحدة غير إنجلترا.. اسمه أسامة علي عبد العظيم.

ابتسم محمد: إنه الثاني لطالما أحب الأذكياء، ما كان ليفرط في صداقة مَن تفوق عليه.. أين هو الآن؟

- في إنجلترا، هل نُرسل له؟

- لا ستسافر له، وستشرح له الوضع وأن صديقه سيواجه الإعدام ويحتاج أن يراه، وإن كان صديقه بحق سيأتي.

***

(12)

بعدها بأسبوع..

"تم القبض - الحمد لله - على أحمد مصطفى عبد الرحمن الذي ذاع صيته بلقب المُنَجِم منذ فترة، وقد عُرض على النيابة بتهمة قتل علاء جابر رئيس تحرير جريدة التنمية السابق، بعد أن جاء إلى هنا وأخبرنا بكل برود أنه سيموت الآن.. وقد تشاركنا ذلك الخبر من قبل، ولكن أحد مصادرنا أخبرنا أنه قد تم تحويله لمستشفى الأمراض العصبية للكشف على قواه العقلية بعد أن صدرت منه بعض الأفعال التي جعلت النيابة تشكك في حالته الذهنية، وهو الآن هناك تحت حراسة مُشددة.

ولكن أكثر ما يُحزنني شخصيًا أن هناك بعض المواطنين قد انخدعوا به وصدقوا أنه يستطيع معرفة متى سيموتون، ويذهبون إليه في زيارات لمعرفة أعمارهم، وبعد عناء الإجراءات يتمنع هو عن زيارتهم.. لا تولونه اهتمامكم، فإن كان في نظر القانون متهمًا ستتم



محاكمته، وكل متهم بريء، فهو في نظري مجرم يستحق عقابًا لما فعل..

ولكننا ننتظر في النهاية حكم المحكمة عليه ولن نستبق الأحداث."

شاهد محمدٌ من مكتبه المذيعةَ ريتال وهي تقول ما سبق، فلقد استحوذت عليه قضية أحمد وتابع أخبارها بشدة، وكلما أُسندت إليه قضية أسندها بدوره إلى أحد معاونيه، لم يستطع التفكير ليس بسبب ما فعله أحمد، وإنما ما قاله، طوال الوقت يتردد في ذهنه أحمد وهو يقول له إن تم القبض عليَّ فذلك لأنني أريد ذلك، لقد أكد أن محمدًا بنفسه سيحاول إثبات براءته، ما الذي يجعله واثقًا لهذا الحد؟

وصل محمد إلى المستشفى في نفس اليوم ولم يستغرق الأمر وقتًا لدخوله إلى أحمد سوى الخمس دقائق الضائعة بين حشود الصحفيين خارج المستشفى.. دخل محمد وجلس أمامه، وجده قد تغير تمامًا، فعيناه شاخصتان في الفراغ، واجمًا وقد طالت لحيته بطريقة عشوائية.. نظر له ضاحكًا:

- لم تقنعني لحيتك بأنك مجنون.

نظر له أحمد ونظره جامد على الحائط خلفه كأنه يرى من خلاله وقال بلهجة رتيبة: أعلم متى ستموتون.. أعلم متى ستموتون جميعًا.

وظل صوته يعلو حتى أصبح صياحًا..ثم توقف فجأة وهو يضحك: هل أقنعتك الآن؟

ضحك محمد حتى اهتز كرشه: لا، كان مصطنعًا..

- كيف؟ لقد أقنع ذلك المشهد كل من رآني.

- لماذا ادّعيت الجنون؟

- هنا أفضل من السجن، على الأقل حتى تُثبت براءتي.

- هل تُصرّ على أني من سيثبتها؟

- بالطبع، ومَن غيرك يستطيع؟

- هل تظن أنني سأصدقك؟

- لا أنت لا تصدق سوى نفسك، وأنا لا أطلب منك سوى تصديقها كالعادة.. استمع لما تقوله لك.

- سؤال واحد دفعني للمجيء وبعده سأقرر استمراري في التعمق في الأمر أو تركه للأبد، فهو لا يعنيني.. لقد أصبحت مشهورًا بعد القبض عليك، كل من في الإدارة يثني عليَّ، ولا تعنيني في شيء براءتك من عدمها.

- وهل ستوافق على إعدام بريء؟ لا لن توافق.. أليس كذلك؟

نظر له محمد فوجده مبتسمًا تلك الابتسامة التي تعني، أن ما يُقال يحمل معنى خفيًّا.



- لن أوافق على إعدام بريء، ولكن جاوب ذلك السؤال، إن كنت بالفعل ما تدّعي، لماذا ظهرت الآن؟ أقصد لماذا اخترت الآن بالتحديد لكي تظهر على التلفاز والجرائد وأن يشاهدك العالم كله؟

- عندما كنتُ مراهقًا فكرتُ في أن أعلن ذلك، وكان الهدف حينها أن أجد من يشبهني، وأن أصبح مشهورًا، الأمر كله كان صبيانيًا، وكنتُ موقنًا أن من بين مليارات البشر في العالم لن يكون حظي تعيسًا ليكون عندي مرض بنسبة واحد إلى الكون، ولكني تراجعت حينها، كنت خائفًا ووحيدًا.

- والآن؟

- الآن الوضع اختلف، لقد ظهرت فائدة ما لدي، إنها ليست لعنة كما رددت طوال حياتي، إنها هبة، عذابي لا شيء مقارنة بالفائدة التي قد تصلكم مني.. رسالة إلهية لكم من خلالي.. إن ما يحدث الآن في مصر وغيرها ليس بسبب الطمع، ولا بسبب غياب الأخلاق إن ما يحدث بسبب غياب المَثَل الأعلى.

- وهل تريد أن تصبح المثل الأعلى؟

- نعم، سأكون مثلًا أعلى.. بطلًا خارقًا، تقوم عليه الأفلام والمسلسلات وتُكتب عنه القصص والروايات.. سأجعل كل شخص يقتنع أنه يُمكن أن يصنع فارقًا في مجتمعه، سأثبت للعالم كله أن رجلًا واحدًا استطاع أن يُغير قناعة تسعين

مليون مصري، سأدفع صاحب كل موهبة لاستخدامها، سأصنع فارقًا.

نظر له محمد وهو عاجز عن الرد، فكَّر كثيرًا فيما سيقول ولكن لم يجد سوى أن يقول بلهجة ضابط متمرس:

- أنت شيئًا من اثنين، مجنون مقتنع بفكرته حتى النخاع، أو صاحب موهبة بالفعل.. أيًا ما تقوله الآن فأنت لا تكذب.. على الأقل على نفسك.

وتركه وذهب، وبمجرد ذهابه التفت أحمد إلى الحائط وظل شاخصًا واجمًا في نفس المكان، بنفس الوضع.. ولكن إن دققت النظر قد ترى جزءًا من ابتسامة تلوح بوجهه.

***



(13)

على مدار الأسبوعين التاليين..

تحول مكتب محمد إلى مكتبة مُصغرة، فالقصة مفتوحة على المكتب، وعلى المقعد تجد ثلاثة دفاتر يوميات بنفس الشكل، والرابعة يمسكها محمد ويقرأ فيها..

"في البداية..تاريخ اليوم هو ٢٠٠٦/٤/٢ أعلم أنني بدأت التوثيق متأخرًا ولكن ذلك القرار أكبر مما يبدو وفي نفس الوقت يجب أن يعرف الناس ما يحدث.. بدأ الأمر معي منذ سنوات طوال عندما مررت بحادثة وأنا طفل جعلتني ألمس الموت بيدي، شاهدته في كل شيء حولي.

بعدها بدأت أرى أرقامًا على وجوه الناس لا أعلم لها معنى ولم أخبر أحدًا بالطبع، في يوم شكوت لمعلمتي أنني رأيت أرقامًا على وجه مديرة المدرسة كونت تاريخًا لا أذكره الآن ولكنها ماتت في ذلك التاريخ، لم تواجهني معلمتي بالأمر وأنا لم أربط بين تاريخ موتها والرقم الذي رأيته، لم يخطر ببالي، فالأرقام كانت بالنسبة لي أرقامًا

وليست تاريخًا، وأخبرتني المعلمة بوجوب إخبارها إذا رأيت أرقامًا مجددًا..

بعدها بأيام رأيت أرقامًا على وجه المعلمة نفسها، وأخبرتها. في اليوم التالي تغيبت المعلمة عن العمل نتيجة تعرضها لحادثة، طلبت من الجميع أن تراني، وجلست معها في غرفة العناية المركزة..وأخبرتني بتلك اللعنة التي ظلت ترافقني طوال حياتي.

لا أذكر سوى أنني انتقلت للمرحلة الثانوية وكانت من أحلك أيام حياتي.. ستعلمون لماذا."

بمجرد انتهاء محمد مما قرأ، بدأ بالبحث في ملف أحمد حتى وجد أنه قد درس في جامعة القاهرة في كلية الهندسة عامين قبل أن يسافر، وبعدها بأقل من ساعة كان محمد واقفًا مع عميد الكلية طالبًا ملف أحمد، وعلى غير عادة شئون الطلاب، وصل ملف أحمد الذي قد ترك الكلية منذ سنوات طوال، سليمًا إلى يده، ليستخرج ورقة واحدة وهي بيان نجاح الثانوية العامة.. قرأ اسم المدرسة "مدرسة النيل الثانوية.."

ذهب مباشرة للمدرسة ودخل مكتب المدير دون استئذان..

- المقدم محمد طه سيف النصر

- أهلًا بحضرتك، كيف أساعدك؟

- أريد ملف أحد الطلاب، اسمه أحمد مصطفى عبد الرحمن، وهذه ورقة بيان نجاحه.



رفع المدير نظارته، ودقق في قراءة الورقة، استغرق المزيد من الوقت نتيجة ضعف نظره وارتعاشة يده، لقد كان من الواضح تجاوزه الستين خريفًا بأعوام.

- لا يمكنني مساعدتك، متأسف.

- لماذا؟ أريد الملف من الأرشيف، ألا تحتفظون بأوراق التلاميذ؟

- نحتفظ بها بالطبع، ولكن في أحداث الشغب عقب ثورة يناير أُحرقت المدرسة وضاع الأرشيف بالكامل، وأي ورق بتاريخ ما قبل ٢٠١١ قد ضاع للأسف.. وقد تقدمت المدرسة ببلاغ رسمي آنذاك.

حاول محمد التحكم بأعصابه، وتكلم بهدوء على قدر استطاعته:

- هل تعمل بالمدرسة هنا منذ زمن؟

- منذ أكثر من ثلاثين عامًا، لقد عملت مدرسًا ووكيلًا وناظرًا ومديرًا..هذه المدرسة بيتي الثاني.

- هل تذكر في عام ١٩٩٥ كان أغلب الطلاب من أي مدرسة إعدادية؟

ابتسم المدير ابتسامة أثلجت قلب محمد...

- وقتها لم يوجد بالمنطقة سوى مدرستين إعداديتين أولهما: مدرسة الخيرية الإعدادية، والثانية: مدرسة أبي بكر الصديق، وهما موجودتان حتى الآن.

أخذ محمد عنواني المدرستين، وذهب لمدرسة "أبو بكر الصديق" ولم يجد ضالته بها، فذهب لمدرسة الخيرية وطلب منها ملف أحمد مصطفى عبد الرحمن، ولحسن الحظ كان موجودًا، وكان قد حقق رقمًا قياسيًا في المدرسة في رياضة القفز بالزانة، لذلك مكتوب اسمه حتى الآن في قمة الأسماء فوق الملعب، اجتمع محمد بالمدرسين وطلب منهم أن يتذكروا أي شيء مما حدث عام ١٩٩٥ للمديرة..

تذكر الأقدمون من المدرسة موت المديرة، فسأل عن موت أستاذة في نفس العام.. واتفق أيضًا أصحاب الشعر الأبيض على موت مُدرسة بعدها بأيام.. غادر بعدها محمد المدرسة وهو يؤنب نفسه على إحساسه بتصديق أحمد، أصرَّ على أن أحمد كذّاب، وسيجد الفجوة في المذكرات ليبرهن على ذلك، وحتى إن لم يجدها، قد تكون أحداث حقيقية حدثت يومًا ما بالفعل، ولكنه استخدمها في بناء قصته.. الأمر ليس صعبًا.

***



(14)

بعدها بيومين..

يدخل مازن المكتب على محمد وقد صُدم من هيئة المكتب، لقد أصبح مكتبة بالفعل..

خلف محمد توجد لوحة كتابة كالموجودة في المدارس قد اختفى لونها الأصلي من كثرة الكتابة عليها، وعن يمينه هناك لوحات بيضاء كبيرة مثبتة بالحائط مكتوب عليها ما لم تستوعبه اللوحة خلفه، الورق في الأرض من حوله، وأمامه دفتريقرأ فيه.

تكلم محمد دون أن يرفع رأسه عن الملاحظات التي يكتبها: ضعها عندك وكن حذرًا.

لم يرد مازن فقد كان مأخوذًا بشكل المكتب، مما دفع محمد لرفع رأسه فسلم عليه :

- لقد طلبت قهوة منذ دقائق وتوقعت أنها قد وصلت.

- متي نمت أخر مرة؟

- منذ ثلاثة أيام.. الأمر أزداد صعوبة، فبكل مرة يصدق، وبكل مرة الأحداث تكون صحيحة بنسبة مئة بالمئة.

قالها محمد والحماسة بادية في صوته.

- أليس خطراً على حضرتك البقاء مستيقظًا طوال هذه المدة؟

- لا تقلق عليَّ، لقد تعديت أضعاف هذه المدة أكثر من مرة.. ماذا حدث في إنجلترا؟

ودفن رأسه في الدفتر مجددًا، يُدوِّن ملاحظات من حين لآخر.

- لم يأت معي، وقال إنه قد استراح من المشاكل ولا يريد أن يعود لها.

رد عليه محمد ولم يرفع رأسه من الدفتر :

- تابع شركات الطيران، سيعود خلال أيام، هو فقط أراد أن يأت بطريقة أكثر حرية.. لن يتخل عنه.

- لماذا تثق هكذا أنه سيعود؟

- لأنه لن يصادق شخصًا يتخلى عنه، هو أذكى من ذلك.

- حسنًا سأتابع، ولكن أنا لا أفهم ما يحدث. ما كل هذا الورق؟

رفع محمد رأسه مبتسمًا كمن انتظر ذلك السؤال، هبّ واقفًا برشاقة لا تتناسب مع حجم كرشه، بدأ بالشرح والتنقل في المكتب بسرعة وحماس لا تتناسب مع سهره لثلاثة أيام متصلة:



- هذه قصة كتبها أحمد وقال لي إنه لن يفهمها إلا من كُتبت له.. وهو أسامة حيث كتب له إهداء في بداية القصة.. حتى الآن أراها قصة عادية، قد تكون طفولية بعض الشيء ولكن لا أرى ما يختبئ وراءها، وهذه أربعة دفاتر قد سجل فيها أحمد يومياته منذ عام ٢٠٠٦ وحتى يوم دخلت شقته.. لن تصدق ماذا وجدت بها!

انتقل محمد إلى لوح الكتابة المعلق خلفه وبدأ بالإشارة على كلمات معينة وسطها..

- المدرسة الإعدادية، وموت المديرة والمدرسة، ذكرهما في دفاتره وتحققت منهم بنفسي.. لقد حدث ذلك بنفس التسلسل، وهنا في المدرسة الثانوية يقول إنه كان يركب في سيارة أجرة مع أحد عشر شخصًا وأنه رأى تاريخ موتهم جميعًا بعد دقائق؛ ففهم أنها حادثة ونزل من السيارة.

أخرج محمد جريدة بتاريخ في عام ١٩٩٧ وهو يشير لعنوان بعينه "مصرع أحد عشر راكبًا والسائق، ونجاة تلميذ لخلافٍ نشأ بسبب الأجرة مع السائق."

- أيضًا هذه الحادثة صحيحة، بل إنه يحكي عن جامعة كامبيردج وموت ضابط الأمن المسؤول عن الجامعة وقد تحققت من ذلك أيضًا.. هناك العشرات من هذه الحوادث في هذه الدفاتر.

بدت علامات الحيرة على وجه مازن لفترة ثم هَمَّ بالرد:

- قد تكون أحداثًا حقيقية وقد...

قاطعه محمد بحماس زاد عن سابقه وهو يشير له:

- أعلم ما يدور برأسك الصغير، تحاول أن تقول إنها قد تكون أحداثًا حقيقية وهو بحث عنها واستخدمها وكتب عنها بمذكراته ليصل بي إلى ما أنا فيه الآن أليس كذلك؟

- بالضبط.

ابتسم محمد قائلًا:

- أنا لا أريد أن أصدقه، ولكن بعد ما أرسلت هذه الدفاتر للمعمل الجنائي أخبرني بتطابق تاريخ كتابة الأحداث بتاريخ الأحداث.. أي: أن هذا الدفتر قد كُتب ما فيه عام ٢٠٠٦.

قال الجملة الأخيرة وهو يرفع أحد الدفاتر بيده، سكت قليلًا مستمتعًا بالاندهاش الظاهر على وجه مازن، حتى تكلم مازن ببطء:

- بالطبع لا أصدق أنه قد كتب هذا الدفتر من عشرة أعوام لكي يوهمك الآن بذلك الأمر، ولكن ألا يوجد أي خطأ؟ ألا يوجد أي تعارض؟

- لا يوجد تعارض بين الكتابة وبعضها، ولا بين الأحداث وكتابتها، ولكن إن كان هناك تعارض سيكشفه لنا أسامة دون أن يشعر، اذهب الآن وارتح قليلًا فلقد عدت لتّوك من



السفر، وتابع أسامة، عندما يصل اتصل بي، كذلك أريدك أن تتابع حادثة علاء، نريد أن نعرف مَن قتله، أعلم أنها ليست قضيتنا، ولكن حاول التدخل وديًا لمعرفة ما حدث.

- تمام.

غادر بعدها مازن، وقام محمد إلى الأريكة في مكتبه لينام قليلًا..

***

(15)

يستيقظ محمد من نومه ولا يعلم كم مرّ عليه من الوقت، يبدأ بطقطقة فقرات ظهره، ويُمسك بهاتفه ليرى الساعة.. يفتح عينيه ببطء ليسمح لضوء الشاشة بالدخول، يجفل فجأة من اهتزازة الهاتف في يده، إنه يرن..

- من؟

- أنا مازن، لقد اتصلت أكثر من خمس مرات حتى الآن.

- كنت نائمًا، ماذا حدث؟

- لقد حلق أحمد لحيته وعاد إلى اتزانه، واعترف للطبيب بأنه كان يدّعي الجنون، وقد كتب الطبيب تقريره وسيتم ترحيله غدًا.

- بهذه السهولة؟

- ذلك ما حدث.

- تابعه حتى يصل، وأوصِ الضابط المسؤول عنه خيرًا.



- سأفعل، شيء آخر.. بخصوص موت علاء، فإن الطب الشرعي قد أثبت وجود قُنبلة مصنوعة محليًا تحت غطاء المُحرك، وقد كان التفجير عن طريق اتصال بهاتف مثبت مع القنبلة، وبالنسبة لجثة علاء، فقد وجدوا جزءًا من ممتلكاته محترقه ولكن لم يجدوا جثته حتى الآن، فالمنطقة فوق كهف من المرجان وجارِ البحث عن أحد الغواصين ممن يعرفون ذلك الكهف.

- أحسنت يا مازن، لطالما لم تخذلني، أطلعني إذا طرأ جديد.

وكالعادة أغلق الخط دون سلام..

استيقظ محمد وذهب إلى حمام مكتبه يغسل وجهه وكل ما يدور بعقله هو أن أحمد لديه الدافع لقتل علاء بعد أن وشي به للشرطة، ويتعلق عقله بذلك الأمل الأخير حتى لا يُصدق أن أحمد مُنَجِمٌ بالفعل.. وقف بعدها محمد أمام المرآة والإرهاق بادٍ على وجهه، وفجأة صاح :

- كيف لم أنتبه لذلك.. إنه صادق، إما أنه صادق أو أنه عبقري.. بالطبع هو عبقري ولكنه صادق.. إنه يرى.

رجع إلى مكتبه وأخذ هاتفه وبعض الأوراق ويقول بصوت مسموع طغى عليه الحماس:

قد يزّور الدفاتر أو يكتب قصة عادية يدّعي أن وراءها سرًا ليشغل بالي، قد يقتل علاء ولكنه صادق.. تلك التفاصيل لا يمكن تزويرها، هل يُعقل أن يعلم ما سأفكر به كي يقنعني؟

غادر محمد مكتبه وهو مقتنع للمرة الأولى باحتمالية صدق أحمد...

***

يصل بعدها محمد إلى المديرية.. ويطلب أوراق قضية قديمة من الأرشيف، لم يستغرق الأمر كثيرًا من الوقت.. فقد كانت منذ شهرين تقريبًا، أخذ محمد نسخة من ملف التحقيقات، واتصل بمازن في طريق العودة إلى مكتبه ليقابله هناك...

وصل مازن بعد محمد بقليل ودخل على محمد فوجده قد أزاح المكتب إلى ركن الغرفة، ويجلس على المقعد ويتحرك معتمدًا على عَجل المقعد ما بين أرجاء الغرفة، فوزنه الزائد لم يتحمل ذلك التحرك الكثير خاصة بعد مجهود الأيام السابقة..

لم يستطع مازن أن يمنع نفسه من السؤال:

- ماذا حدث للمكتب؟

رد محمد ساخرًا:



- كنت أعيد توزيع الديكور.. ماذا تعلمت من عملك في الشرطة؟

قال الجملة الأخيرة والجدية تبدو في كلامه، ولكنه لم يترك الفرصة لمازن ليُجيب فأردف:

- شخصيًا لقد تعلمت أمرين اثنين، أولهما أن الكل يكذب.

- والثاني؟

ابتسم محمد: أنه لا يوجد شيء اسمه صدفة، وحين أحكِ لك ما يأتي لا تقل تلك الكلمة من فضلك.

واسترسل محمد في الكلام وكان الحماس باديًا في كل ما يقول وكلما حاول مازن مقاطعته تجاهله محمد وأكمل حديثه:

- اليوم استيقظت على هاتفك، وبعد أن تكلمنا دخلت الحمام ووقفت كعادتي أمام المرآة أنظر لآثار السهر على وجهي، واكتشفت أهمية المرآة، سألت نفسي ما الذي يدفع أحدًا إلى الاستغناء عنها نهائيًا.. حينها ظهرت الإجابة أمامي تلوح بيديها وأدركت كم كنت مغفلًا، إنه لا يريد أن يرى وجهه.. لا تفهمني؟

ظهر على وجه مازن عدم الفهم وقد ظن أن السهر قد أثر على عقله.. ولكن عندما رأى محمد ذلك قال:

- هذا خطئي لم أخبرك أن أحمد لا يمتلك مرآة واحدة في شقته، لم أعطِ الأمر أهمية في البداية ولكن اليوم فهمت، أحمد يخاف أن يستيقظ يومًا ليرى ملامح وجهه تُشكل تاريخ موته، يُفضل أن يعيش جاهلًا.. لا أصدق أنها خدعة لكي أصدقه، فهو لم يلفت نظري لهذه التفصيلة، وما أدراه أنني قد ألحظ ذلك من الأساس.

توقف محمد ليرى الأثر على وجه مازن، وقد خاب ظنه لأن مازن لم ينفعل أو يتحمس فأردف:

- هذا ليس كل شيء بالطبع، ففي نفس الطابق الذي يسكن به أحمد، جار من ذلك النوع الفضولي، عندما جلست معه وتحادثنا أخبرني أن في حادثة القهوة، أتذكرها؟ تلك الحادثة منذ شهرين تقريبًا عندما تسرب الغاز وانفجرت القهوة ومات (مانجيستو) وعنتر، كان أحمد نازلًا عندما سأله الجار عن جهته، وأخبره أنه ذاهب للعزاء في (مانجيستو) حيث مات اليوم منذ نصف ساعة تقريبًا، نزلا معًا ولكن (مانجيستو) كان حيًا حتى تلك اللحظة.. ما يلفت النظر أن الانفجار كان الساعة الخامسة تقريبًا، أي: كان بعدها بنصف ساعة بالضبط.



- حسنًا، مِن الغريب أن يخمن موته إن كنت تصدق الجار، ولكن ما المهم في أن التأخير ساعة بالضبط؟

ابتسم محمد منتصرًا كأنه ينتظر ذلك السؤال، وألقى ملفًا كان يمسكه بحركة سينمائية :

- الغريب أن الحادثة كانت في السادس عشر من أبريل، لقد سحبت الملف خصيصًا لأتأكد.

ظهرت علامات عدم الفهم على وجه مازن فهو لم يلحظ شيئًا مميزًا في ذلك التاريخ مما أزعج محمد:

- في اليوم السابق له تم تكريم أحمد في روما بسبب شيء ما قد أنجزه لا يعنيني الآن، لقد رأيت شهادة التكريم بنفسي على مكتبه.

- لا أرى مشكلة حتى الآن.

- إن فارق التوقيت بين مصر وإيطاليا ساعة، لقد كانت ساعته مُقدمة ساعة، رأى أنه سيموت الساعة الخامسة ولكن بسبب فرق التوقيت نزل قبل موعد موته، ومن الغريب أن الحاج ياسين لم يتحدث عن ذلك مع أحد على عكس عادته.

كشف محمد ذلك لمازن وتبعه بابتسامة ليتمتع بنتيجة ما رأى على وجهه.. جلس مازن للحظات وعدم الفهم على وجهه، نظر في تاريخ القضية في الملف.. صمت للحظات ثم قال ببطء:

- لا أعلم ولكن هل يمكن؟

- هل تصدقه؟

- أظن ذلك.. ولكن هل ستفعل المحكمة؟

قالها بوجوم وهو ما زال مأخوذًا بما قاله محمد..

- المحكمة تحتاج إلى أدلة، والدليل الأقوى هو رقم المُتصل، وهو مُشفر الآن ولا يمكنهم إيجاده لا عن طريق شركة الاتصالات ولا عن طريق التتبع ولا الإشارات.. لا شيء، وحتى يكتشفوه فلا حكم سيصدر سوى التأجيل.

***



(16)

في اليوم التالي..

أزاح محمد الأوراق التي تراكمت فوق قصة أحمد ليكملها ولكنه توقف عندما سمع ريتال مجددًا..

"تم تحديد موعد محاكمة المُنَجِم بعد غد في قضية مقتل علاء جابر الصحفي الشهير ورئيس تحرير جريدة التنمية السابق، والجدير بالذكر أنه قد ادّعي الجنون في وقت سابق ولكن أطباء المستشفى اكتشفوا ذلك وتم إعادته إلى المحكمة، وقد سُمِحَ للإعلام بحضور المحاكمة وتغطيتها مباشرة لِما تمثله من قضية رأي عام تهم كل المصريين."

أطفأ محمد التلفاز وهو يتمنى أن يعود أسامة سريعًا، لعله يحمل دليلًا على قدرة صاحبه فنقدمه للمحكمة، فالمحكمة لن تأخذ بالكلام دون أدلة وبدأ في القراءة مجددًا..

"حضن حمدي الأوراق وكاد أن تظهر له أجنحة ليطير.. سأله زيد مبتسمًا من فرحة حمدي:

-ما قصة تلك اللوح على مكتبك؟

-إنها فكرة مشروع.. مُحرك دائم الحركة يعتمد على الجاذبية والقصور الذاتي لينتج..

قطع كلامه فجأة حيث تذكر أن هذه اللغة لم يفهما أيٌّ مَن تحدث له سابقًا، ويضطر للتبسيط بعدها، فحاول توفير الوقت والتحدث بلغة بسيطة يستطيع زيد يفهمها من البداية ولكنه تفاجأ عندما رد زيد:

- أتقصد أنك تريد محركًا يبدأ الحركة بطاقة مبدئية ويظل في إنتاج طاقة للأبد؟

- بالضبط، هذا ما أريده

- ولكن ألا يتعارض ذلك مع مبدأ بقاء الطاقة، فالطاقة لا تفنى ولا تستحدث من عدم، فكيف تستمر بإنتاج طاقة من طاقة مبدئية صغيرة؟

- سأستعين بقوى القصور الذاتي وقوى الجاذبية لتستمر حركة المحرك.

- لن تستطيع، أنا لا أحبطك ولكن هذا الهدف مستحيل، ولقد حاول العلماء منذ فجر التاريخ تلك المحاولات، وقد اهتم بها الروس على وجه خاص، وبعدها الألمان والإنجليز، وقد يأس منها العلماء في عصرنا الآن... نصيحتي لك أن تحاول تقليل



عناصر المقاومة والاحتكاك ليكون لك محركًا ليس بدائم الحركة، ولكنه ليس كسائر المحركات.. سيكون نصف دائم.

زاد إعجاب حمدي بزيد، فهو يعلم استحالة ما يطمح إليه وكذلك لم يخطر بباله فكرة المحرك نصف الدائم تلك من قبل..

- ولكن هذه المواد ليست متوافرة وكذلك ليست رخيصة

- هنا يأتي دوري، ستحصل على بعض المال.. قل لي عندما كنتَ تُحضر الجن ماذا كانت أمنياتك؟

- كانا طلبين، أولهما أن أجعله يعمل بالمحرك للأبد والثاني..

وهنا توقف قليلًا ونظر لزيد نظرة طويلة ثم أدار ظهره له مترددًا

- أن أجعله يقتل خالي".

ابتسم محمد بإعجاب من القصة، لقد جذبته ليُكملها، همَ بالدخول في الفصل الجديد منها ولكن هاتفه رن كالعادة ليقطع متعته..

- ماذا هناك يا مازن؟

- أسامة علي.. إنه في الطريق.

اعتدل محمد في جلسته، وبدا على صوته الاهتمام:

- تقصد في الطريق إلى المكتب أم إلى البلد؟

- في طريقه إلى البلد، أقل من ساعة ويكون بمطار القاهرة الدولي.. سآتي به إليك حال ما يصل.

- لا، لا نريد إخافته.. اتبعه، واعلم الفندق الذي بقي به، وأخبرني، وإن احتاجت الظروف أن تحتك معه، تعامل معه بلطافة.

- تمام، ولكن أليس المكتب أفضل؟

- هل تريده يأتي ليرى ما توصلنا إليه دُفعة واحدة معلقًا على حوائط المكتب؟ افعل ما أطلبه منك

- أمرك.. إلى اللق..

أغلق محمد الهاتف في وجه مازن دون سلام، وقام من كرسيه يتمشى بمكتبه بعشوائية وهو يُفكر... يمر الوقت ثقيلًا عليه، يرفع ساعته من آن لآخر، ينظر لهاتفه كل فترة، فهو يعلم أن تلك المقابلة ستزيده تعمقًا وفهمًا لأحمد..

وأخيرًا يرن هاتف محمد.. يرجع رأسه للخلف برضا وهو يرد على الهاتف..

- حسنًا، أعلم ذلك الفندق.. أنا في الطريق، أحسنت.

لن أصف كيف انتهت المكالمة.. أظنكم تعرفون.

***



وصل محمد إلى غرفة أسامة في الفندق بعدما اطلع عليها من الاستقبال، فالأمر سهل بالنسبة لضابط شرطة، يطرق الباب بطريقة يحاول جعلها مهذبة، يفتح الباب شاب قصير القامة، ذو بشرة مائلة للسمرة، يرتدي نظارة طبية، تظهر من خلفها عينان ليسا أقل ذكاء ولا حدة من عيني أحمد... قال بهدوء:

- تفضل يا حضرة الضابط.

ضحك قائلًا:

- تشبهان بعضكما البعض.. أنا المُقدم محمد سيف النصر مباحث عامة.

- أهلًا بحضرتك، أنت مَن طلبَ مقابلتي وأنا في إنجلترا أليس كذلك؟

- نعم إنه أنا، هل يمكننا التحدث قليلًا؟

- هنا أم بمكتبك؟

- أفضّل مكانًا عامًا، حتى نكون على راحتنا أكثر.

- حسنًا، أنا جاهز.

نزلا إلى استراحة الفندق، وبدأ محمد الكلام مباشرة..

- حسنًا، أظنك سمعت عما يحدث لصديقك الآن.

- أعلم أنه متهمٌ في جريمة قتل، وأعلم أنه قد صرح بموهبته للناس.

- موهبته؟ هل تراها موهبة؟ هل تصدقه من الأساس؟

أسند أسامة ظهره متهيئًا للدخول في النقاش، وتكلم بجدية ورصانة:

- أعلم أنها ليست موهبة بالمعنى التقليدي، ولكن لطالما أطلقت عليها ذلك، وهو لطالما أطلق عليها لعنة.. أتفَهَّمُ ذلك؛ فلقد رأى ما يجعلني أصدق أنها لعنة بالفعل، هل تعلم أن حبيبته الوحيدة في الجامعة قد رأى ميعاد موتها؟ وهل تعلم أنه قد قطع علاقته بي كي لا يرى نفس المشهد، هل تفهم معنى أن تدخل المحاضرة أول شخص، وتجلس في الصف الأول، وتنظر للأسفل حتى يجلس الجميع، تتابع الأستاذ دون أن تنظر له، كان يتحاشى وجوه الناس، لم يحضر فيلمًا ولا مسرحية، لم يأت لحفل تخرجه، وفي مناقشة رسائل الدكتوراة كان ينسحب مسرعًا.. هل تتخيل أن..

قاطعه محمد بعد أن أصابه الملل من ذلك الكلام العاطفي:

- حسنًا لقد فهمت، لقد تعذب كثيرًا بسبب ذلك، ولكن لماذا هو بالتحديد؟

- كل ما أخبرني أنه قد تعرض لحادثة ما ثم بدأ الأمر بعدها.

- ما هي الحادثة؟

- لم يخبرني عنها وعندما سألته لم يجب، فلم أسأل عنها ثانية.

- حسنًا، هل تتذكر قصة الشاب والجن والاختراع وما إلى ذلك؟



- بالطبع، هذه القصة قرأتها أكثر من مرة.. إنها جميلة.

- أريدك أن تشرحها لي، ما المعنى الخفي بها؟

ضحك أسامة قائلًا:

- هناك شخص واحد يستطيع فهمها، وهو ليس أنا.. لقد قرأتها أكثر من مرة كي أفهمها ولم أستطع تكوين وجهة نظر مبدئية عنها حتى.

- ألست أنت الشخص الذي كُتبَتْ من أجله القصة؟

- لا، ولا أعرف هذا الشخص للأسف.

- حسنًا، ركز فيما سأقول، افترض - مجرد افتراض - أنني قد رأيت من الأحداث ما يجعلني أصدق أحمد، وأنه بريء وأنه يرى ما يدّعي رؤيته فعلًا، كيف يمكنني إثبات ذلك؟

- علميًا، لا يمكن إثبات ذلك، فلقد خضع أحمد للكشف على كل وظائفه العقلية والحيوية، ولم يُلحظ أي شيء غير معتاد.

- وما الحل؟

- أن نشهد بذلك، أنا سأشهد بذلك كصديق له وعلى درجة عالية من التعلم والناس ستحترمني، وأنت رجل شرطة ذو سجل مميز، وكذلك أنت من قبض عليه وشهادتك ستكون بمثابة تراجع عن خطأ، ولا تنس ما أصبحت فيه من شهرة وذلك سيكسبك زخمًا.

- ولكن ذلك لن يخرجه من القضية.

ضحك أسامة بقوة حتى سعل :

- لقد رأيت بنفسك ما حدث، لقد ذهب بنفسه للتلفاز وأخبرهم بمقتل الصحفي، كان يعلم أنه سيُقبض عليه، وأنا أثق أنه يعرف كيف سيخرج منها، أحمد أذكى ممن يتعاملون معه؛ ثق بي، ما يهم هو أن يصدقه الناس.

- سنفكر في الأمر، يجب أن نتواصل كثيرًا، هذه بطاقتي، بها رقمي، اتصل بي في أي وقت، وأنا معي رقمك من استقبال الفندق.

***



(١٧)

في اليوم التالي (السابق للمحاكمة)..

يجلس محمد في مكتبه مُمسكًا بالقصة ويقرأ فيها مجددًا وبجانبه دفتر يدون به ملاحظاته، يبحث فيها عن مفتاح يصله بالشخص المكتوبة له..

"بعد مرور عشرين عامًا على ظهور الجنّي..

يجلس المئات في مقاعد المسرح وعيونهم معلقة على الستارة المسدلة في ترقب..

تُزاح الستارة ببطء، ليظهر رجل ببدلة بنية فارع الطول يمسك بمكبر الصوت ويتحدث بنغمة حماسية:

اليوم نتشرف أن نستضيف الحائز على جائزة نوبل هذا العام، ليقص علينا جانبًا من قصة نجاحه وكيف فكر في مشروعه.. في أول ظهور إعلامي له بعد رجوعه من السفر والتكريم بحمد الله، كفى بنا فخرًا أن يعرض عليه رئيس روسيا تكريمًا خاصًا، حيث نفذّ حلم

علماء روس منذ فجر التاريخ، رحِّبُوا معي بمحدثكم اليوم.. المهندس المصري/ حمدي مهدي حسين.

يظهر في ذلك الوقت رجل ما بين العقدين الرابع والخامس، أصلع جزئيًا، وما تبقى من شعره فقد احتله الشيب المبكر، يتحرك بحيوية ويلوح هنا وهناك، تصافح مع المذيع وقال له شيئًا جعله يضحك بصوت مسموع للجميع، وذهب ليقف مكانه خلف منصة الإلقاء، ووضع ورقه أمامه وبدأ في التحدث والأعين كلها معلقة به:

لم أعتد التحدث أمام تلك الأعداد من قبل، هل تحضر مصر كلها المؤتمر؟ ((ثم أشار بيده لمقعدٍ فارغ)).. أظن التسعين مليونًا قد نسوا واحدًا في المنزل.

ضجت القاعة بالضحك بعد تعليقه الأخير، وبعدما هدأت الأصوات، أردف بلهجة ضاحكة:

بمناسبة العلماء الذين حاولوا إنشاء ذلك المحرك، حاولوا كثيرًا أن يخدعوا الناس باختراعهم، فهناك من يخبئ عبيدًا في المحرك ليديروه، وهناك من جعل امرأته تعمل بالمحرك إذا جاء ضيوف، ولكن لعل أكثرهم ظرافة ذلك الذي وضع محركه في معرض في باريس في الستينات، وتحدي العالم كله على أن يوقفوه، وبالفعل حاول جميع الزوار إيقافه، وكلما أمسكوه فهو يتوقف، ولكن بمجرد تركهم للمحرك كان يعود للحركة، والخدعة أنه كان هناك زنبرك وبالضغط على الجهاز فإنهم يولدون طاقة لتشغيل المُحرك.



بعدها بقليل بدأ يفتح ورقته ويقرأ منها..

حسنًا.. لقد بدأ الأمر عندما كنت في كلية الهندسة، الفكرة مكتملة ولكنها مجنونة، شجعني والدي وأصّر أن أبدأ فيها على الرغم من استحالتها، وبدأت بالفعل، في البداية رسمت تصميمًا مبدئيًا، عرضته على أحد أساتذتي وقد وبخني لسوء الفكرة، فالفكرة تتعارض مع المبدأ الأساسي لبقاء الطاقة، والذي ينص على أن الطاقة لا تفنى ولا تُستحدث من عدم.. يأست بعض الشيء، ولكن بعد موت والدي أصبح الأمر أقرب للتحدي، إما أن أثبت أنني ما زلت حيًا وأدافع عن حلمي، أو أثبت أنني لم أكن أهلًا لثقة والدي..

قلب الصفحة الأولى من الورقه وأردف:

..وبعد عدة محاولات استغرقت مني أكثر من سنتين وصلت للتصميم الحالي وبقيت خطوة التنفيذ..

وفجأة جمدت شفتاه، بل جمد كل ما فيه. ومد يده ليرفع قصاصة ورق في منتصف الصفحة ويدقق فيما مكتوب فيها.. رفع بصره بعدها وجال به على القاعة كلها ولم يستطع تحديد أيًا من كان يبحث عنه.. توقف لحظات بدت طويله على المستمعين، فحرر المكبر من المنصة ووقف به في منتصف المسرح:

في هذه القصاصة، طلب مني صديق قديم بأن أقص الحقيقة كاملة ويهددني بكشف شيء لا تعلموه، قد حدث معي منذ سنوات،

إن لم أصدق القول فيما سأقول، حسنًا يا زيد.. أظنني في كلتا الحالتين معرض للفضيحة، ولكني أفضل أن أفعلها بنفسي، ليس خوفًا منك وإنما احترامًا لما فعلته لي فلقد غيرت حياتي، وكذلك لأن هذه الفرصة لن تتكرر ثانية.

أيها الجمع لقد دخلتم التاريخ بما ستسمعون الآن.. حقيقة الاختراع الذي فزت بسببه بجائزة نوبل بسيطة جدًا وهي أنه:

((توقف قليلًا ثم قال))

..قد ظهر لي جنّي.

***

يُغلق محمد القصة وقد نال منه التعب، لقد أتم أسبوعًا بدون نوم سوى في ساعات متفرقة على أريكته في المكتب. دخل مازن المكتب..

- هل توصلت إلى الشخص المكتوبة من أجله القصة؟

- ليس بعد، ولكن الأحداث بالفعل توحي بأن الأمر ليس مجرد قصة.

يتثاءب محمد بصوت مسموع..

- لم تنم من فترة، وغدًا المحاكمة نحتاج إليك بكامل تركيزك.



- لا تقلق، سأذهب للمنزل حتى أنام وأحلق لحيتي التي طالت تلك الأيام، لا يصح أن أظهر في التلفاز بمظهري هذا، لا تنس أن تذهب غدًا إلى أسامة في الفندق وتقله إلى المحكمة، فهو لا يعرف الطريق وحضوره مهم بالنسبة إلى أحمد.

- لا تقلق يا باشا، اذهب سعادتك لتستريح اليوم، وغدًا كل شيء سيكون كما أمرت، وإن حدث أي تطورات سأطلعك عليها غدًا، لا تقلق.

- لم أرفي حياتي محاكمة بسرعة تلك، أقل من شهر.

قالها محمد متأففًا لضيق الوقت، فلم يستطع إجراء تحريات أكثروإثبات كل ما في المذكرات.

- وهل رأيت محاكمة بمثل هذا الحجم؟ إن الأمر قد تجاوز الرأي العام المحلي.. والناس لن تصبر.

- صحيح.. سأغادر الآن.

- حسنًا إلى اللقاء.

غادر محمد ورجع مازن لمكتبه.

***

(١٨)

يقف محمد بجوار قفص الاتهام ومعه نفرٌ من العساكر لمنع الصحفيين من الوصول لقفص الاتهام، فعلى الرغم من عدم ظهور أحمد حتى الآن فهم يتقاتلون للوقوف بأقرب مسافة من القفص...

دخل أحمد قفص الاتهام وعلى وجهه تلك الابتسامة، ونظره مثبت على محمد حتى يلحظه محمد ويومئ له بإشارة منه أنه يصدقه، فينظر في الأرض، يدخل مازن قاعة المحكمة ومعه أسامة، وينطلق أسامة باتجاه صديقه، ولكن العساكر تمنعه من الوصول إلى القفص، أشار لهم محمد فتركوه، وسمح أيضًا لأسامة أن يدخل القفص ليُسلم على صديقه، وبعد أن تبادلا السلام والأحضان، وأحمد لم يرفع وجهه من الأرض، يتذكر محمد ما قاله أسامة على أنه يخاف أن يرى وجوه الناس.. يشعر بالشفقة رغمًا عنه.

يدخل حاجب المحكمة ليُعلن عن دخول القاضي ومستشاريه، ويقف كل من في المحكمة لدى دخولهم..



باختصار تبدأ المحاكمة بكلمة النيابة وتوجيه التهم ونتائج التحقيقات، ثم يقوم الدفاع - وهو محامٍ صغير السن من العمارة المقابلة لمنزل أحمد - ويطلب من هيئة المحكمة تأجيلًا حتى يتم العثور على الجثة وإحضار الشهود، ويتم تأجيل القضية عقب ذلك مباشرة..

***

طلب محمد من المحامي الشاب أن يذهب معه للمكتب بعد المحاكمة ليتحدثا معًا قليلًا..

- حسنًا، ماذا تظن به؟

- أظنه بريئًا، ولكن لا يوجد أدلة ولا أعلم ماذا أفعل سوى التأجيل

والتفت إليه والانفعال بادٍ عليه مما أربك المحامي، وقال مستنكرًا:

- هل ذهبت للمحكمة اليوم دون أن تحدد ما ستفعل بالضبط؟ ماذا إن رفضوا طلب التأجيل؟

- هذه المرة الأولى التي أقف في محكمة، فمنذ تخرجي وأنا عاطل، ولقد دفعني أهل المنطقة لهذه القضية دفعًا.

رن هاتف الشاب مما زاده ارتباكًا.. أشار له محمد بعدم اهتمام ليرد على هاتفه، وأخرج هاتفه يعبث به، جذب انتباهه صوتُ الشاب وقد بدا عليه الاستنكار..

- تقصد إسلام طه المحامي؟

أشار له محمد أن يشغل مكبر الصوت، فعل ذلك لنسمع صوتًا نسائيًا يتحدث بطلاقة وكأنها تحفظ ما تقول..

- نعم، هذا مكتب أ.إسلام طه، وسيتم تحويلك له، برجاء الانتظار للحظات.

ينظر الشاب بارتباك لمحمد فيأخذ محمد هاتفه ويتكلم بدلًا منه، وعلى عكس المتوقع يسمعون صوت ضحوك غير متكلف كما تصوروا..

- ألو

- ألو

- كيف حالك اليوم، لقد رأيتك على التلفاز وكنتَ رائعًا.

- شكرًا لك، إنه لشرف أن أتحدث مع حضرتك

رد محمد بالجملة السابقة بدلًا من المحامي الجالس أمامه وهو لا يعلم ما المفترض قوله، يرد إسلام ضاحكًا:

- إن كان الشرف في كلامك معي، فماذا تُسمي عملك بمكتبي؟



هنا لم يتمالك الشاب نفسه وخرجت منه "ماذا" بصوت مسموع، نظر له محمد محذرًا:

- لا أفهم، هل تعرض عليَّ وظيفة في مكتبك؟

- هذا صحيح، لن نضيع موهبة مثلك ولكن هناك شرطٌ صغير.

وهنا ظل يومئ الشاب لمحمد في إشارة منه على الموافقة على أي شرط يطلبه منه.

- ما هو؟

- نريدك أن تنسحب من القضية، لقد أرسلت أحد محامي مكتبي اليوم لأحمد وطلب منه توكيلًا لي لأترافع عنه مجانًا، فأخبرنا بأن لديه محاميًا جيدًا، من الواضح أنه يثق بقدراتك، وبالطبع أنا أيضًا، ولكن هذه القضية ليست لشاب لم يتمرس وقفة المحاكم، هو غير مُمانع أن تتركه ولكن كان يريد أن يتم الأمر برضاك.

- ولماذا تُريد أن تترافع عنه؟

- على الرغم من أن مديرى المكاتب لا يسألونني، ولكنّي سأجيبُ المديرَ الجديدَ لمكتبي في الجيزة...

قالها ضاحكًا ليغريه أكثر، وهنا غاص الشاب في المقعد غير مصدق لما يحدث.. وأردف :

- اقترح أحد محامي المكتب على أن أتابع تلك القضية، وبعد متابعتها لا أعلم ما الذي جعلني أصدقه، أريد أن أثبت براءته.

رد عليه محمد: حسنًا موافق.

أغلق محمد الهاتف وأعطاه للشاب قائلًا: لو ضغطنا أكثر لتنازل لك عن مكتبه.

ضحك الشاب غير مصدق لما حدث، فبالأمس كان عاطلًا على مقهى الحاج صفوت، ودفعوه دفعًا ليترافع في تلك القضية، وقبِلها وهو متوجس. واليوم.. هو مدير مكتب إسلام طه في الجيزة، من أكبر مكاتب المحاماة في مصر .

***



(١٩)

جلس محمد بعد مغادرة المحامي وقد خطر له أن أحمد قد طلب ذلك الشرط حتى يشتري إسلام ودَّ ذلك المحامي بوظيفة. لا يعلم لماذا هو متيقن من ذلك، انتهى عقله أنه سيسأله يومًا. فتح القصة أمامه وأكمل قراءة..

"بدأ الأمر في عامي الثالث من كلية الهندسة. مات والداي في حادثة. وأصبحت وحيدًا فجأة وتبدّلت حياتي، تعرّفت على أصدقاء من المجاملة أن نطلق عليهم أصدقاء سوء، فهم تعدوا هذه المرحلة بمراحل. استغلوا وحدتي وحزني وأموالي، كانوا ملاذي الذي أفرغ فيه وحدتي وحزني، وكذلك أموالي.

بدأت بشرب الخمر ثم لعب القمار، بدأت الأموال تتناقص، اضطررت لبيع شقة من عمارتنا، فالثانية، والثالثة، حتى تبقت شقتي التي أسكن بها، والتي رهنتها مرة ولكنني استرجعتها.

المُهم..

كان أملي في الحياة يومها أن يموت خالي، ذلك رجل الأعمال الذي تبرع بملايين لمنظمة ترعى الكلاب في المكسيك حيث يعيش، ولم يسأل عن ابن اخته قط.

بدأت بالاقتراض من المرابين، والكل يتسابق ليقرضني، فهم يعلمون أن خالى في ربيعه التسعين، وأن مالهم محفوظ، ولكن لم يدم الحال وبدؤوا بفقدان الأمل واحدًا تلو الآخر.

ثم ظهر خيار من نوع أخر.. الجن!

لم أعلم عنهم كثيرًا بل لم أعلم عنهم شيئًا، كنت أشتري ما يوصي به صديق من العالم الافتراضي قد وصف لي مرارًا تجاربه مع الجن، وقد ظهر لاحقًا أنه يكذب ويبيع لي كتبًا مكذوبة وأدوات لا تمت للجن بصلة. ويخبرني بطقوس خاطئة لكي يأخذ ما تركتْهُ طاولة القمار لي من أموال.

وفي ليلة ظهر لي زيد، ظهر لي بدافع الفضول، أراد أن يرى حياتنا، وفي المقابل سيساعدني

كان طويلًا وأذنيه مطموستين، ملامحه بشرية ولكن امتلك نظرة عين تقشعر لها الأبدان..

طلبت منه طلبين عندما ظهر لي: أولهما أن يعمل بمحركي دائم الحركة ليظل يعمل للأبد، ولكنه سخر مني وقال إنه في زيارة ولن يطيل البقاء..

فطلبت الطلب الثاني وهو أن..



وهنا تردد قليلًا قبل أن ينظر للورقة في يده، فيستجمع شجاعته: الطلب الثاني أن نجد طريقة نعجّل بها موت خالي..

علت الهمهات في القاعة بعد الجملة الأخيرة..

قال بعدها مسرعًا:

ولكن حمدًا لله أنه لم يقبل، وبعدها بثوانٍ أخبرني: أنه زار خالى الآن وهو مريض وقريبًا سيموت دون أن نتحمل وزره.

***

وكالعادة يقطع طرق مازن للباب قراءة محمد، والذي لم يطق أن يترك القصة هذه المرة، لقد نسي أنه يبحث عن الشخص المكتوبة له ، واستغرقته بما فيها..

- تفضل يا مازن، ماذا تريد؟

- لا شيء، فقط أخبرك بأنني قد جهزت لك ترتيبات الزيارة لأحمد كما تريد، غدًا سينتظرك ضابط هناك وقد فهم كل شيء وسيدبر لك الزيارة

- شكرًا يا مازن، ولكن ألم يكن من الممكن أن ينتظر ذلك؟

رد مازن مرتبكاً:

- لم أعلم أنك مشغول، متأسف!

استوقفه محمد: مازن، بما أنك هنا وقد قطعت قراءتي، أريدك أن تنسخ هذه القصة وتذهب بها لطبيب نفسي واسمع ما يكشفه عن كاتبها.

- حسنًا سأذهب بها إلى دكتور ياسر فايز.

- لا، أريد طبيبًا ليس له علاقة بالشرطة، دكتور ياسر سيقول الأمر المعتاد "نفسية معقدة، وميل لارتكاب الجرائم وخيال قوي وهذا الخليط غالبًا ما يكون في المجرمين" وكأنه لم يتعلم سوى هذه الجملة.

يأخذ مازن القصة: كما تأمر

***



(٢٠)

في اليوم التالي..

ذهب محمد لمقابلة أحمد، وقد أخرجه الضابط لمكتبه.. وما إن رآه أحمد حتى ابتسم قائلًا:

- لم أكن أعلم أنه يمكن زيارتي بعد.

- حسنًا، الزيارات ممنوعة باستثناء من يستطيع.

- وبالطبع تستطيع، أنت المُقدم محمد سيف النصر الذي يتحدث عنه الجميع الآن.. هل صدقني المُقدم؟

- إلى حد ما، ولكن هناك شكوك ناتجة عن أسئلة بدون إجابات.

- مثل ماذا؟

- هل أنت مَن قتل علاء؟ لقد كان لديك الدافع بعد أن وشي بك للشرطة.

ضحك أحمد : الأغبياء فقط هم من يقتلون، أنا قد أخبرت أحد الرجال أصحاب الأموال الوفيرة والرجال الكثيرين والغضب السريع أنَّ علاء يحاول أن يمسهم بسوء في جريدته، وإن آذوه بعد أن ينشر شيئًا ضدهم سيكون مشتبهًا به.. ورحلت

- لماذا؟ لم يستحق ذلك.

- أنت لا تعلم ما يستحقه، إن كان لدينا الوقت في المستقبل سأشرح لك كل شيء، أعدك بذلك.

- ألا تخاف من الإعدام؟

- أنا أثق بالعدالة.

- العدالة في طريقها إلى إعدامك.

- حسنًا، لدي بطاقة أخيرة لم أكشفها بعد، إن استعصي الأمر سأكشفها آسفًا.

قالها أحمد بخبث.. وصمت محمد وهو يعادل الأمر في ذهنه، فهو صُدم بأن أحمد قد ساهم في قتل ذلك الرجل، قانونيًا هو لم يحرض على قتله ولن تتم محاكمته، ولكنه قتله عندما أخبر هؤلاء الرجال عما ينتوي فعله.

- لقد قابلت أسامة منذ أيام، وتكلمنا عنك لبعض الوقت، قال إنك تعرضت لحادث ما وإنك من بعده قد أصبحت كذلك، ما هو الحادث؟



ظهر على وجه أحمد الانزعاج من هذا السؤال ولكن سرعان ما تمالك نفسه واختفى هذا الانزعاج وراء تلك الابتسامة:

- لقد وقعت على السلم وارتطم رأسي بماسورة حديدية، وقد أصبت بشرخ في الجمجمة نتيجة لذلك، وكانت فرصتي ضعيفة ولكنني نجوت.

أومأ محمد برأسه متفهمًا، ثم أدار دفة الحديث إلى جهة أخرى:

- ماذا عن القصة؟

- هل أعجبتك؟

- لم أنهها بعد، ولكنها جذابة حتى الآن، لمن كتبتها؟

- لشخص ما، هو من يُمكنه فهم ما وراءها.

- من هو هذا الشخص؟

ابتسم أحمد والتفت ليكون أمام محمد بالضبط: أنت.

قالها أحمد ولم يتحدث بعدها، وترك عقل محمد يبحث عن إجابات لتلك الأسئلة التي تدافعت فجأة، ولكن ينتشله منها قبل أن يُنقل أحمد إلى زنزانته قال بصوت ضاحك :

- هل باركت للمحامي على الوظيفة الجديدة؟

ابتسم محمد فكما توقع هو من جعل إسلام يعرض الوظيفة على المحامي، فالمحامي يريد تلك القضية لما لها من حساسية ومتابعة عند الرأي العام، وكذلك لأن موقف أحمد جيدٌ فيها، فهو

لديه حجة غياب، ولم يتم العثور على الجثة ولا التعرف على الرقم، ولكن ضاعت ابتسامته عندما تذكر كلمة "أنت" التي قالها أحمد منذ دقائق، فالأمر أصبح محيرًا أكثر، هو لا يستطيع فهم السر وراءها، هل يمكن أن يكون السر وراءها لا شيء؟ وهي فقط خطوة لتأخيره، هل يمكن أن يكون كاذبًا وكل ذلك لعبة أخرى من ألعابه الكثيرة التي يجيدها؟

نفى أحمد الفكرة معترفًا بأن هذا ليس أسلوبه، يكاد يجزم بذلك بعد ما أحس أنه صار يفهمه أكثر من ذي قبل، والدليل أنه فهم خدعة توظيف المحامي.

***

بعد ساعات...

يجلس محمد ومازن يستمعون مرة أخرى لتسجيل المقابلة الحادثة منذ ساعات، والتي سجلها محمد بهاتفه الذي تركه على المكتب مفتوحًا..

- ما رأيك يا مازن؟

- حسنًا، الحوار يتلخص في ثلاث جزئيات، الأولى مقتل علاء، وهنا يجب أن نعترف أنه أذكى من الجميع وأظنه فعل ذلك لدافع حقيقي أكثر من وشايته لك.. دافع جعله يظن أنه يستحق الموت. الثانية الحادثة وأظن أنها لا تعنينا الآن. أما الثالثة هي القصة وهنا أرى احتمالين: أولهما: أن القصة



مكتوبة لأي شخص يصدق أحمد، ويكون ذكيًا بما يكفي ليفهمه ولأن أحمد رأى فيك كل هذا قال إنه كتبها إليك، في إشارة منه أنك ذلك الشخص، والثاني: أن أحمد يُخطط لكل ما يحدث الآن وينتظر أن تكتشف ما وراء القصة متأخرًا ليكون قد استبق بخطته، وإن كان هذا صحيحًا فإن أحمد يخطط لشيء سيء.

استمع محمد لكل لما قاله مازن باهتمام بالغ، ثم أسند ظهره للخلف قائلًا:

- بعد قضاء سنوات في الشرطة، سيكون لك حاسة سادسة لن تفهم مصدرها ولكنها ستحركك، ستجعلك تلتفت لتفاصيل صغيرة على أنها أمورًا جلية، هذا نسميه الحدس، وحدسي الآن يقول إن أهم شيء في تلك المقابلة الحادثة التي حدثت له وهو صغير والتي قد أهملتها أنت. ما المُحرج أو المؤلم نفسيًا في جرح بالرأس لدرجة تجعله لا يحكِ عنها لصديقه؟ إنه يكذب في ذلك الأمر، وهنا يأتي دورك. فبينما أقرأ هذه القصة لاكتشاف ما خبأه وراءها، أريدك أن تبحث في ذلك الأمر وتعرف ما الحادثة وكيف حدثت، لا أريد تقريرًا عاديًا، أريده بالتاريخ والساعة ودرجة الحرارة إن أمكن.

- تحت أمرك.

قالها مازن بإحراج وهمّ بالانصراف.. استوقفه محمد قائلًا:

- ماذا قال لك الطبيب النفسي عن القصة؟

- قال لي ما كان سيقوله ياسر.

ضحك محمد.. أظنهم لم يدرسوا غيرها بالفعل.

****



(٢١)

صباح اليوم التالي...

يدخل رجل فارع الطول نعرف من ملامحه وشيب شعره أنه قد جاوز الستين، ولكنه محافظ على صحته إلى حد ما، فلولا ارتعاشة يده لظننا أن الشيخوخة لا تعرف عنوانه، أسنانه متراصة بيضاء، لديه تلك النظرة لدى الحكماء والتي تخبرك بطريقة غير مباشرة بأنهم قد اخترقوا عقلك وعلموا ما فيه فلا تحاول الكذب، بشرته سمراء بدرجة متوسطة، يرتدي بذلة سوداء من تلك التي يرتديها المشاهير، وساعة من تلك التي لا يقدر المشاهير على شرائها..

يضع حقيبته على المنضدة أمام أحمد في مكتب الضابط، ويبتسم له لتظهر أسنانه اللامعة:

- في البداية، اسمي إسلام طه المحامي الخاص بك، ولقد توسمت فيك أنك بريء وسأحاول بمساعدتك أن أخرجك من هنا.

نظر إسلام لأحمد ليرى انطباعه الأول، وقد خاب ظنه فهذه من المرات القلائل التي لم تُكسبه إطلالته هيبة ولم يبد الاهتمام بكلامه بذلك الشكل، فأحمد ظل ناظرًا له بنظرة خاوية كأنه لا يفهم ما يقول.

- هل تسمعني؟

هنا تكلم أحمد لأول مرة بصوت بطيء كأنه غير قادر على النطق: أنت مثلي.

- مثلك كيف؟ هل أنت نباتي؟

وضحك إسلام بصوت مسموع وهو يفتح حقيبته..

- أنت مثلي، أنت ترى متى يموت الناس أليس كذلك؟

رد إسلام بسخرية: لا بالطبع لا يقدر أحد على رؤية متى يموت الناس، ولا أنت، هذه الأشياء نتركها للمحكمة إن احتجنا لها، فأنا المحامي الخاص بك، بيننا شيء واحد وهو الصدق ويج..

قاطعه أحمد كأنه يفكر بصوت مسموع:

- لك علاقة بالموت قوية، لم أشعر بذلك الإحساس من قبل، هل هي حادثة قريبة، لا فأنت بصحة جيدة، ولقد رأيت حوداث أسوأ مما قد يحدث في مخيلتك ولم يكن الإحساس بهذه القوة...



حاول إسلام مقاطعته بأنه لا يوجد الوقت الكافي لذلك الكلام ولكن لم يعره أحمد أي انتباه وظل في تفكيره المسموع..

- إن ما أشعر به هنا هو رجل قد لمس الموت كما لمسته، هل حاولت الانتحار من قبل؟

وكانت الكلمة الأخيرة كفيلة بأن يأخذ إسلام حقيبته ويغادر المكتب.. لقد كانت تلك أسرع زيارة محامٍ في التاريخ.

***

في نفس الوقت..

يجلس محمد في مكتبه يشرب قهوته ويستجمع تركيزه ليكمل القصة، فهذه القصة على حد ظنه وراءها كيف سيجعل أحمد من نفسه مثلًا أعلى للناس كما قال، وهنا يحكم محمد إن كان مخططه بريئًا أم له خسائر..

فتح محمد القصة وبدأ وهو يذكر نفسه بأنه سيعرف كيف سيكون أحمد مثلًا أعل..

وقف محمد فجأة وقال: سيجعل من نفسه مثلًا أعلى كما جعل حمدي في القصة نفسه مثلًا أعلى.

أطلق صيحة فرح قائلًا لنفسه: لقد بدأت في ربط الأشياء ببعضها، لقد أوضح لي نقاطًا في نقاشاته السابقة ويجب أن أتذكرها وأنا أقرأ الآن.

فتح القصة وهو يقول: تعجبني هذه اللعبة.

"بدأت حياتي مع زيد وكان يجب أن اتأقلم معها، يغيب فجأة لأيام ويعود فجأة، ووجدت حلًا لتلك المعضلة الأبدية في السينما، فأيًا من تحدث لجني ويراه الناس يتحدث لنفسه كان مجنونًا ولكنني حللت الأمر بسماعة أذن أرتديها كلما سار معي زيد، أتحدث كما أشاء فيظن الناس أنني أتحدث بالهاتف.

سارت الحياة طبيعية بشكل كبير بالنسبة لجنّي، خرجنا كثيرًا وتعرضنا لمواقف أكثر فمنها – حسب ما أتذكر الآن – أننا ذهبنا لمطعم سويًا ولم يره العاملون بالمطعم، وعندما أوقفني ضابط شرطة بالسيارة وكاد أن يأخذ الرخص لولا أن أشار له زيد فسمح لنا بالانصراف كأنه نائم.

أيًا كان..

مر أسبوعان وكل يوم يعُطني زيد مبلغًا من المال لأسدد جزءًا من ديوني، لم يُعطني المبلغ كاملًا حتى لا يلفت الأنظار لي.. بدأت باعتزال الطاولة والكأس إلا قليلًا.

بعدها طلبت منه أن يظهر للناس، لماذا؟ لا أعلم فقط أردت ذلك، لكنه اعترض وفهمت منه أنه لكي يتحول إلى هيئة بشرية سيجلس بلا حراك لمدة أسبوع لا يقدر على الإتيان بالخوارق التي يأتي بها الجن، ولا يمكنه تحريك جسمه البشري حتى ينتهي الأسبوع، وذلك يسبب له آلامًا كبيرة، حيث سبق أن تحول مرة ولا



يريد أن يكرر تلك المأساة. بالإضافة إلى أنه إذا مات في حادثة بهيئته البشرية، سيموت كجنّي.. فهمت يومها أنني يجب أن أرضى به دون أن يراه غيري للأبد.

مرت الأيام وقد اعتززت بصداقته فعلًا.. ليس لأنه يساعدني، بل لأنه ولأول مرة أجد صديقًا، يقف بجواري وأتحدث دون خوف معه. لقد كان صديقًا من نوع مختلف.

ولكن هُدد كل ذلك مرة واحدة..

حيث اختفى زيد ثلاثة أيام، ثم عاد ليخبرني بأنه سيختفي للأبد.

***

توقف محمد عن القراءة وقد اقتنع بأنه لا يمكن القراءة أكثر من ذلك حتى يتسنى له التفكير فيما قرأ وقد كتب على دفتر ملاحظاته "ابحث عن زيد، أظنه أسامة" وكتب أيضًا "هل كان مدمنًا للخمر؟"

***

(٢٢)

في اليوم التالي...

يدخل إسلام على أحمد مكتب الضابط مرة أخرى ويبدأ إسلام كلامه بتعليمات بلهجة حادة حتى تستمر الجلسة ويساعده على حد قوله..

- أريدك أن تفهم، أن المهم هنا ليست حياتي الشخصية، ولا يوجد معتوه سيصدق ما تقول، أنا هنا لكي أساعدك، سأنقذك من الإعدام دون جنيه واحد فقط لأنني أريد الحق، موافق أم لا؟

هز أحمد كتفيه في لا مبالة: لا أظن ذلك.

رد إسلام بلهجة تهديد: غير موافق؟ حسنًا..

- لا أظن أنك هنا لأنك تريد الحق، بل فقط تريد أن يتذكرك الناس وأن تظهر في قضية مثل هذه لها اهتمام إعلامي، وكذلك وضعي جيد في القضية وستكون مضمونة بنسبة



كبيرة خاصة لمحامٍ مخضرم مثلك، سيظل الناس يتحدثون عنك كأسطورة لأزمان قادمة.. وقد تنتحر بعدها وأنت مرتاح البال أنك لن تُنسى.

كانت الجملة الأخيرة كافية لإغاظة إسلام أكثر من كل ما سبقها، وقد بدا أنه عزم الرحيل بغير رجعة ولكن أوقفه أحمد:

- انتظر، لن أتحدث بهذا الموضوع ثانية، ولكن لا تشكك بي، فأنا بالفعل أستطيع أن أرى علاقتك بالموت.

- حسنًا لا شأن لي بذلك، سنتحدث في بضع نقاط اليوم، أولها..

قاطعه أحمد: هل تعلم أن الحكومة قد عرضت عليَّ في وقت سابق أن أعمل معها؟

- تعمل معها كيف؟

- كان هناك أكثر من اقتراح كلهم من أدمغة أبليس، لدرجة أن اقتراح وجودي في المستشفيات لأحكم مَن يبقى ويُعالج، ومن يُترك ليواجه الموت.. كان طيبًا بالنسبة لباقي الاقتراحات.

- لم أسمع شيئًا عن ذلك الأمر.

ابتسم أحمد ليعلن فوزه: بالطبع هناك الكثير مما لم تسمع عنه.

ثارت الغريزة الموجودة لدى كل أصحاب المال عند إسلام - والتي تُدعى غريزة السُلطة - وحاول أن يتكلم مع أحمد في تلك الأشياء؛ ليعرف أسرارًا قد يحتاجها في وقت لاحق.

- مثل ماذا؟

- الآن أَثَرْتُ انتباهك.

- إن كان ما تقوله صحيحًا؛ سنستخدمه في القضية وسيفيدنا جدًا.

- لا أقص لك ذلك لتستخدمه في القضية، فقط أريدك أن تصدقني.

دار إسلام دورة حول المكتب، وهو يهز رأسه في عدم اقتناع..

- هل يمكنك مقابلة ضابط اسمه محمد طه سيف النصر والاستماع له؟، أتوقع من شخص مثلك ذهب للموت بنفسه وتعفف الموت أن يقبله، أن يصدق أن الموت يختار.. لقد اختارني بالفعل.

***

لم يستغرق الأمر خمس دقائق على الهاتف بالنسبة لرجل يملك مفاتيح البلد مثل إسلام طه ليعرف مكان مكتب المُقدم محمد..

وصل بعدها بعشر دقائق بسيارته التي تليق بالبذلة والساعة، يدخل إلى مكتب محمد مباشرة ويطرق الباب متجاهلًا العسكري



الواقف أمامه، ولم يكن بإمكان العسكري الاعتراض، فمع تلك البذلة وذلك الشيب قد يكون لواءً.

دخل إسلام بعد ما سمع صوت محمد من الداخل يأذن له بالدخول..

- صباح الخير.. إسلام طه المحامي.

هب محمد واقفًا؛ فهذا من الناس التي لا تجرؤ أن تمد يدك لهم وأنت جالس أيًا كانت رتبتك..

- ومن لا يعرف أ.إسلام طه، لقد شرفتني بحضورك اليوم.

وبعد المضايفة والمجاملات، تولى إسلام دفة الكلام وبدأه مباشرة:

- تعلم أنني قد توليت تلك القضية المشهورة باسم قضية المُنَجِم، ولقد طلب مني أحمد الاستماع إليك.

- ولن تظنني مجنونًا؟

- أفهم من ذلك السؤال أنك تصدقه؟

- نعم.

- أتدري شيئًا؟ بعد رؤية مكتبك بهذه الحالة لن أستطيع أن أنعتك بالمجنون، أنت تضع ورقك على منضدة الشاي وتضع مكتبك في ركن الغرفة.

قال هذه الجملة ضاحكًا وهو يشير للأوراق التي تغطي الحائط ومكتبه والمنضدة أمام محمد..

ابتلع محمد الإهانة ولم يتمكن من الرد سوى بشيء واحد، فتح دُرج مكتبه، وأخرج ساعة الإيقاف، ضبطها على سبع دقائق، ثم قال:

- لم أذق النوم أسبوعًا لكي أصل لهذه الحقيقة، وسألخصها لك في سبع دقائق لعلك تصدق، أرجو أن تركز على استمرار عقلك بالعمل السبع دقائق القادمة؛ لأنه سيتوقف.

طقطق بعدها محمد أصابعه كإعلان منه للبداية، ثم وقف وبدأ العد التنازلي، تحرك محمد بنشاط زاد عن المرة الأولى عندما شرح لمازن على اللوح ودفاتر الملاحظات ما استنتجه، ولم يأتِ بسيرة القصة الموجودة الآن على المنضدة أمامه...كان ينتقل بين اللوح والدفاتر والجرائد بحيوية، وإسلام تبدو عليه الصدمة أكثر مع كل كلمة تخرج من فم محمد.

انتهت السبع دقائق وجلس بعدها محمد على الأريكة وهو يصب عرقًا، فهو غير معتاد على ذلك الكم من الحركة..لم يتبين كل ما قاله إسلام لنفسه ولكنه متأكد أنه سمعه يقول: أعتقد المجانين قد زادوا وأحدًا.

وغادر إسلام المكتب غير مقتنع أنه قد اقتنع.

***



(٢٣)

تمر أيام ما قبل المحاكمة دون أن يتقابل إسلام وأحمد، وفي يوم المحاكمة يحدث مثل ما حدث في المحاكمة الفائتة.. يلتف العساكر حول القفص؛ ليمنعوا الصحفيين، والصحفيون يحاولون الاقتراب لأقصى درجة.

قبل بداية المحاكمة بلحظات يصل إسلام طه بِرداء المحاماة الأسود في وسط دائرة من محامين شباب، ويدخل بخطى واثقة حثيثة نحو مقعده، والمحامون يعيقون أي صحفي حاول أن يسأله، حتى ما وصل لكرسيه حتى دخل الحاجب ليعُلن دخول أعضاء هيئة المحكمة..

جلبة الصحفيين تنتقل من أحمد إلى إسلام ومن إسلام إلى محمد تحاول التقاط ما تستطيع. وأحمد نظره مثبتٌ بالأرض أمامه.

نادى القاضي على أحمد لإثبات حضوره، رفع أحمد رأسه تجاه القاضي رافعًا يده، ثم ثبت نظره على الأرض مجددًا وحاول مقاومة

دموعه التي انهمرت بقسوة بدون صوت، ونظره ما زال بموضعه..كل هذا سجلته الكاميرات وكان الأمر مؤثرًا في الجميع..

اهتز هاتف محمد في جيبه فحمد الله أنه جعله صامتًا.. فتح الشاشة ليجد رسالة من هاتف أسامة :

"لم أر تلك الدموع سوى مرتين سابقًا، وفي كليهما كان الموت حاضرًا"

انسل محمد بين العساكر بهدوء حتى أصبح بجوار القفص وهمس لأحمد: من؟

لم يرفع أحمد نظره من الأرض، فقط أشار برأسه ناحية منصة المحكمة.

كل هذا والمحامي يترافع ويخرج عن إطار القضية، فالقضية شبه محسومة له، ولكنه يدخل في أمر المُنَجم طول الوقت حتى يضيف إلى قضيته اهتمامًا إعلاميًا يزيده شهرة.

وفي استراحة المحكمة، ذهب محمد إلى إسلام ومال على أذنيه هامسًا:

- هناك من سيموت.

ظهرت على إسلام علامات الفرحة بشكل مبالغ فيه جذب له الإعلاميين وصاح بصوت يسمعه الصحفيون من خلفه:



- اجعله يتكلم.. سيصدقه الناس إن فعل ذلك ((وأشار إلى أحمد من مكانه في آخر القاعة)) تكلم يا أحمد الأمر ليس له علاقة بالقضية، يجب أن يسمعك الناس ويصدقوك.

ولكن أحمد لم يرد، بل لم يرفع عينيه من مكانهما.

بدأت المحاكمة بعدها بدقائق..

وأحمد يبدو عليه أنه لا يستمع لشيء مما يقال، تنهمر دموعه في صمت، وانتبه فجأة كأنه سمع جملة استرعت انتباهه، فتكلم دون أن يرفع رأسه.. انتبه القاضي له وسأله إن كان يريد إذنًا بالكلام، فأومأ أحمد وقال:

- لم أركز في شيء مما يحدث هنا، أيًا كان ما يحدث ما هي أسوأ عقوبة قد تقع عليَّ؟ الإعدام؟ حسنًا، من يقتلني الآن فلقد أكرمني.. إنكم لا تشعرون بما أشعر به، أقف هنا منحنيًا، ورأسي في الأرض لم أرفعها سوى ثانية واحدة، وفي هذه الثانية أرى أن أحدكم سيموت.. لماذا؟ لا أعلم!

- المرة القادمة إذا أتيح لك الكلام في قاعة محكمة، قدم شيئًا يفيد القضية التي نحن بصددها.

هنا ابتسم أحمد ورفع رأسه مباشرة لينظر في عينيه :

- وأنت قد أخذت فرصتك في الحياة، لم يتبق لك سوى يومين، قدم فيهم شيئًا.

ونظر في الأرض مجددًا ولكن نظرة الأسى قد تبدلت بنظرة تشفي، كأنه رأى فجاة أن القاضي يستحق ذلك..

وبالطبع بعد جملة أحمد الأخيرة، انفجرت أصوات الإعلاميين والحضور، بل أطلق القاضي نفسه أكثر من كلمة معربًا عن عدم فهمه ما يحدث قبل أن يتمالك نفسه، ووسط بلبلة الحضور وارتفاع أصواتهم لم يكن للقاضي سوى أن يقول:

- رُفعت الجلسة.

****

بعدما رجع أحمد الحبس، التقط محمد هاتفه..

- أين أنت يا مازن؟

- في مصلحة الجوازات، أحاول معرفة تاريخ ظهور أحمد بمصر.

- أيًا ما تفعل ليس مهمًا الآن، هل تعرف بيت قاضي المحكمة؟

- أيُّ قاضٍ؟ أنا هنا منذ ثمانٍ وأربعين ساعة ولا أعلم شيئًا.

- ذلك القاضي حسن جاب الله.. سأرسل لك عنوان منزله حالما أتحصل عليه، أريدك أن تراقبه طوال اليومين القادمين، سيموت في خلالهما كما رأى أحمد.

****



(٢٤)

اليوم التالي..

يجلس محمد في مكتبه على الأريكة ممسكًا بالقصة، وفتح الصفحة التي توقف عندها، وقبل القراءة طرأ له أن يسأل مازن عن آخر المستجدات..

- أين أنت يا مازن؟

- في السيارة كعادتي، إن كان هناك سببًا لموت هذا الرجل فهو الملل.

ضحك محمد، إن مات هذا الرجل بطريقة طبيعية فإن أحمد صادقٌ، وسيصدقه العالم كله..

- لماذا تسعل هكذا؟

- سيارة قتل الحشرات في الشارع، تأتي مرتين يوميًا

- هل تظن أنها حيلة ليدخل أحد في الدخان؟

- لا تقلق، كلما مرت هذه السيارة يخرج إلى شرفته ليغلق الشباك فأراه، إن حدث شيء سأراه لا تقلق، ثم إنَّ الدخان ليس كثيفًا لهذه الدرجة.

- حسنًا، كن حذرًا.

وكعادته منذ بدأنا أغلق الهاتف دون سلام، وبدأ في القصة..

"بعد ما قال حمدي الجملة الأخيرة، جلس على حافة المسرح مُدليًا قدميه للأسفل واستطرد..

لم أعلم ماذا أفعل، ولا ماذا أقول، كنت مهددًا بفقد الإنسان الوحيد، (ثم عدّل كلمته) أقصد الكائن الوحيد الذي أحببته، سألته لماذا؟ هل مللت؟ ولكن أخبرني وهو حزين أنه سيتزوج..

لم أفهم في البداية سبب حزنه ولا الرابط بين زواجه وتركي، ولكنه أوضح لي أن زواجه سيتم مع جنّية من قبيلة أخرى، نساؤها ليسوا كنسائهم وأن الأمر كله صلح بين قبيلتين ولأنه ذو قدر في قبيلته قد وقع عليه الاختيار، سألته بسذاجة ماذا قد يحدث إن رفض؟ أخبرني أنه إذا لم يتزوجها في خلال عشرة أيام سيبحثون عن زوج غيره ولكن سيتم سجنه حتى ينجب الزوجان أول مولود ذكر... هكذا هو القانون عندهم.

طرأت لي فكرة ولكن سألته أولًا، هل تطيق السجن أم الزواج؟ فرد بدون تفكير أنه يريد حيلة تجعله خارج نفوذ قبيلته لعشرة أيام فقط، وكان الحل عندي..



ببساطة سيتحول لبشري، فيجلس أسبوعًا بلا حراك ليكون بشريًا معي، ثم يتحول بعدها في أسبوع آخر لجنّي مما يوفر له مدة أكثر من عشرة أيام.

استحسن الفكرة على الرغم من الألم المصاحب لتحوله، من الواضح أنه كان كارهًا لأمر الزواج بشدة.. وبالفعل، لم يكن هناك طقوس، فقط طلب مني أن أتركه في الغرفة أسبوعًا لا أدخلها حتى لا أراه، على حد قوله سيكون في هذه الفترة مسخًا لا هو جني ولا ذو هيئة بشرية..

مر الأسبوع عليَّ ثقيلًا، أسمع في الليل آهات متفرقة، وأصواتَ تنفُّسٍ مخيفة، جلست لا أجد شيئًا لأفعله، فقد انشغل عقلي ..متى سيخرج زيد؟

وبعد أسبوع... خرج لأول مرة في هيئته البشرية، كان بطول عادي، وأذنيه مثلنا، نظر بالمرآة ورأى، وجهه وعلمت أنه على الرغم من تحوله مرة سابقًا فإنه لم يذق شيئًا سوى الماء وعاد لهيئته الأصلية بعد ساعات خوفًا من أي حادث قد يميته.

أخبرته بضرورة تذوق طعام البشر قبل أن يعود كجنّي، فالأمر لا يُفوَّت..

طلبت له طعامًا من مطعمي المفضل، وأكل معي.. أخذ يصف لي فرحتَه بما أكل، وإحساسَ تلامُسِ الماء مع لسانه، وكيف أنه يُطفِئ الحرارةَ كلما نزل بجزء من جسمه..

تدرج الأمر للمياة الغازية، وشرب كمية من المياه الغازية وظل يضحك من الشعور المتولد بسببها.. وفاجأني بأنه يريد مخدرات، يريد أن يشرب خمرة وسجائر مخدرة وغيرها، وقد بلغ هذا الطلب من قلبي مبلغه، أخرجنا زجاجة وأفرغنا ما فيها في جوفنا..

طلب المزيد ولم يكن بيدي سوى أن أذهب لأشتري له"...

***

توقف محمد عن القراءة وهو يستسلم للنعاس، فهو لم ينم منذ ليالٍ عدة، ترك القصة ونام على نفس الأريكة..

***



(٢٥)

في نفس اليوم...

يدخل أحمد مكتب الضابط ويجد إسلام في انتظاره مبتسمًا وقد تغيرت نظرته عن ذي قبل، فبدأ أحمد الكلام:

- هل قابلتَ محمدًا؟

- نعم قابلتُه، وأنا مصدقك تمامًا وأقدر ما تمر به.

رجع أحمد بظهره والأسى بادٍ من عينيه:

- لا يمكن أن تقدر، لأنك لا تعرف.. هل تعلم ما أكثر ما يؤلمني في كل هذا؟ أنني لا أستطيع أن أشكو، لمن أشكو ومن سيصدقني؟

- سأصدقك، إنني أصدقك بالفعل.

- هل تعلم أن القاضي إن مات مقتولًا ستضاف لي تهمة جديدة؟

- لن يُضاف شيء أنت هنا تحت أعينهم ولم تخرج.

- هل تعلم أنني قد أحببت من قبل؟ ولكن حبيبتي قد تركتني.

- أنا أيضًا، زوجتي تركتني.

- أنا أقصد بـ(تركتني) أنها ماتت، ورأيت ميعاد موتها بعيني.

لم يستطع بعدها أحمد من أن يحبس دموعه التي انسالت، تحدث إسلام ليجذب انتباهه..

- أفهم ما تمر به ولكن..

قاطعه أحمد بحدة: لا يمكنك أن تفهم، لن يمكنك حتى تفقد عزيزًا، أنا فقدت كل شيء

- وهل تُعتبر بنتي.. عزيزًا؟

وجم أحمد لفترة من المفاجأة :

- آسف؛ لأنني ذكرتك بها، ألهذا حاولت الانتحار؟

أومأ إسلام رأسه وقد سالت من عينيه الدموع أيضًا:

- كنا في شرم الشيخ، كنت أحاول أن أرشي بنتي بطريقة غير مباشرة حتى تطلب في المحكمة أن تبقى معي. فلقد رفعت أمها قضية حضانة.. وبينما نحن على القارب انشغلت عنها لبضع دقائق، ولم ألحظ غيابها، لقد سقطت في الماء دون أن أشعر، كنت مشغولًا بمغازلة إحداهن ولم أشعر بموت بنتي.

وهنا انفجر في البكاء، وانضم له أحمد بالبكاء، ليدخل عليهما الضابط يجدهما ينتحبان في حضن بعضهما البعض..



قال أحمد وهو على باب الغرفة مغادرًا:

- قلت لك منذ أول يوم إنك مثلي، قريب من الموت.. تشابهنا في أكثر من شيء، أرجوك ابق بجانبي!

***

في صباح اليوم التالي..

يتصل محمد بمازن..

- أين أنت؟

- في مكاني، لم أنم منذ البارحة.

- هانت، أربع وعشرون ساعة وتنام هنيئًا كما تشاء.. أطلعني إن حدث شيء، راسلني قبل أي قرار.

أغلق محمد الخط، وبعدها مباشرة طلب أسامة..

- ألو..

- ألو، هل أيقظتك؟

- لا أبدًا لقد استيقظت من قبل الفجر.

- أريد مقابلتك

- حسنًا سآتي إليك بعد ساعتين.

- لا أريدك أن تأتي الآن، هذا لمصلحتك، إن حدث مكروه للمستشار حسن سيتهمون كل أصدقاء أحمد ويتلخصون فيك، تحتاج لحجة غياب، وهي وجودك معي بالقسم.

- في طريقي إليك.

وقد ظهر على صوته القلق..

***

وفي مغرب نفس اليوم..

يجلس أسامة ومحمد بالمكتب في ظاهرهما السكون ولكن تتقد بداخلهم مراجل التوتر، ينتظران اتصال مازن ليقول إنه مات، هل معقول أن يُخطئ أحمد؟ يتمنون ألا يموت ويتمنون موته في نفس الوقت، ومن وقت لآخر ينادي محمد على العسكري بأي حجة ليجعله شاهدًا على وجود أسامة طوال الوقت..

باقي على مرور اليوم سويعات..

فجأة رن هاتف محمد، فنظر إلى أسامة مبتسمًا ثم رد على الهاتف:

- ماذا حدث يا مازن؟

- لقد مرت سيارة المبيدات ككل يوم بعد المغرب، ولم يغلق الشباك كعادته، أمره محمد أن يعود دون أن يتدخل.



أغلق محمد الخط واتصل بالشرطة، كمواطن عادي ليخبرهم بشكوك في موت المستشار.

وقد حدث..

***

في صباح اليوم التالي:

"إن الأمر حقيقي، فلقد تنبأ المُنَجِم بموت الصحفي معنا هنا، ومات بالفعل.. ولكن كان المشتبه به؛ لأنه قُتل ! وكذلك حدث التفجير من بعد، ولكن هذه المرة تنبأ بموت القاضي ليموت فعلًا كما أخبرنا جميعًا أمام عدسات الكاميرات.. ولقد مات بطريقة طبيعية حيث خرج تقرير الطب الشرعي أنه مات بالاختناق نتيجة نوبة حادة من الربو، فقد كان مريضًا بالربو، ووجدوا بجهازه التنفسي بقايا غاز مبيد الحشرات، لقد استنشقه وهو نائم.. رحم الله الفقيد وألهم أهله الصبروالسلوان. ولكن.. هل يُمكن أن يكون أحمد كما يدّعي؟ نحن لا نقول ذلك، نحن نعرض عليكم ما حدث وأنتم مَن تقررون."

كان ذلك صوت ريتال والتي يستمع لها الملايين بمصر، فقد اكتسبت شعبية منذ ظهورها الأول.. وقد سمعه محمد في كشك الجرائد وهو يتناول الجريدة تلو الأخرى ليرى أحمد قد تصّدر الصفحة الأولى لها جميعًا..

هنأ محمد أحمد في عقله، حيث بعد أن وصل لتلك الشعبية يمكنه أن يصبح بطلًا خارقًا ومثلًا أعلى كما أراد!!

"أيًا ما يخطط له أحمد.. فقد اقترب موعده"

كان ذلك صوت عقل محمد في رأسه.. أومأ محمد موافقًا وغادر..

****



(٢٦)

في مكتب محمد..

يجلس أسامة مع محمد ويحاولون فك ألغاز القصة معًا، الأمر لم يصبح مشكلة، فهما يعرفان ما ينوي فعله، يريد أن يغير حالة اليأس في المجتمع..

يبدأ محمد بكشف ما قد استنتجه من قراءته السابقة:

- حمدي بطل الرواية هو إسقاط لأحمد، فكُلًا من حمدي وأحمد أصبحا شخصيتين مشهورتين ولهما شعبية كبيرة، ويمكنهما أن يصبحا قدوة للشباب كما أراد، كذلك حمدي ظهر له "زيد" الذي بمثابة القدرة التي اكتسبها أحمد بعد الحادثة التي لا نعلم عنها شيئًا.

ظهرت علامات الحيرة على وجه أسامة:

- ألا تظنها أمورًا عامة أكثر من اللازم؟ لا يفكر أحمد بهذه الطريقة...كلانا يعلم هذا.

في نفس الوقت..

يجلس إسلام مع أحمد في المكتب، يشربون عصيرًا قد أحضره إسلام معه، يتبادلون أطراف الحديث:

- **ولكن ألا يتعارض ما يحدث لك مع فكرة الغيب؟**

- **لقد كان ذلك من أوائل المشاكل التي استطعت حلها، ما يحدث لي الآن هو بفعل الله، فلا يقدر مخلوق على كشف ما قد كُشف لي سوى الله، لا شيطان ولا ملاك.. والله يكشف لعباده أنواعًا من الغيب بمرور الزمن، فقد حدث لسيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أنه كان في خطبة على المنبر ثم أخذ يصيح "يا سارية الجبل" وقد سمعه سارية والجنود وهم يحاربون؛ واحتموا بالجبل في تلك اللحظة، ألم يكن ذلك غيبًا بالنسبة له؛ إن الأمر مشهور ومثبت يمكنك أن تبحث عنه.**

توقف إسلام قليلًا ثم سأله مترددًا: هل أنت كذلك على الدوام؟

- **كذلك كيف؟**

- **تتحدث بالحكم وأحداث تاريخية، مستعد لإجابة أي سؤال في أي وقت.**

- **كلما اقتربت من الموت، اقتربت من الحكمة، أظنك تفهم ذلك.. لقد عرضتَ نفسك مرتين للموت ولم يخترك.**

فجأة سقط من يد أحمد العصير وأخذ في البكاء في حالة هيستيرية دفعت العساكر لاقتحام المكتب..



صاح وهم يجذبونه خارجًا: ليس أنت، أرجوك لا تختطف مني كل عزيز، لا تخترْه الآن.

***

يُكمل محمد قراءة القصة..

"لم يستغرق الأمر بفضل الشوارع غير المزدحمة فجرًا عشر دقائق لأشتري زجاجتين، واتصلت بأحد موزعي الأفيون، و أخذت منه قطعة تكفي ليلتنا ورجعت إلى المنزل، وفي طريق العودة أجد كمينًا أمنيًا في الطريق، ولم تكن المرة الأولى التي أمر عليه ومعي أفيون، ولكن هذه المرة أصّر الضابط على تفتيشي، باختصار قُبض على."

توقف محمد عن القراءة مبتسمًا، فهو تأكد أن حمدي هو أحمد، فكلاهما قبض عليه أيضًا.

"وفي القسم اتصلت بالمنزل لأستغيث بزيد وجاء لي على أنه صديق واستطاع برشوة العسكري المسؤول عن حمايتي تركنا معًا لدقائق ودار بيننا الحوار التالي..

-هل جننت؟ مجيئك هنا بصورتك البشرية قد يعرضك للخطر، فأنت لا تمتلك أوراق إثبات شخصية.

- لقد كانت آخر شيئًا فعلته قبل أن أتحول، فكما قلت لك هذه ليست أول مرة لي بمصر.

- حسنًا، ماذا سنفعل؟

- سأطلب لك محاميًا وسنرى.. لا تقلق

- اذهب أنت الآن إلى المحامي، لا أرى نحسًا أكثر من هذا...لأول مرة يتم تفتيشي في حياتي.

- لا تقلق، إن تعسر الأمر.. لن يأخذ الأمر أكثر من أسبوعًا لأتحول لجنّي وأساعدك.

- آمُل ذلك.

توقف حمدي عن السرد مبتسمًا: لقد كان خطأً كبيرًا.. ولكن اندفاعي وصحبتي لجنّي لم تجعلني أفكر في الأمر جيدًا.. وها قد نلت عقابي.

فلقد جددت لي النيابة أربعة عشر يومًا وزيد يزورني يوميًا برشوة العسكري، وفي اليوم الثالث كانت المفاجأة.. حيث جاء زيد ويظهر على وجهه السرور صاح بمجرد رؤيتي: لقد ابتسمت لك الدنيا يا صديقي.

أجبته: إخلاء سبيل؟



فرد والفرحة ظاهرة في صوته: بل أفضل، لقد مات خالك تاركًا لك أكثر من خمسين مليون جنيه، لقد قابلت المحامي اليوم وقد أرسلوا إليك على بريدك الإلكتروني طوال الشهر، وأخيرًا أرسلوا محاميًا لك..حمدًا لله أنهم وجدوك قبل انقضائه، حتى لا يضيع الورث.

أخبرته أن بريدي الإلكتروني قد اخترقه أحدهم منذ شهرين تقريبًا، ولكن لماذا يضيع الورث؟

قال إن خالى قد اشترط في الوصية أن آخذ ميراثي قبل الأربعين، وإلا سيعتبرني غير مهتم به ولا أهتم بجنازته وسيتبرع بالأموال.

وبعد سؤاله كم تبقى من المدة، أجابني أنه يتبقى أسبوع.

خاب أملي بعد جملته الأخيرة، فمنذ سنوات وأنا أنتظر موته، انتظر المال الذي سيغير حياتي، ولكن عندما يأتي اليوم، وتكون أحلامي أمامي على بعد خطوات، أكون وراء القضبان لا أستطيع إليها سبيلًا.

طمأنني أن الأموال بأمان، فالمحامي قد عرض أن يأتي هنا وأوقع له توكيلًا ليأخذ المال بدلًا مني.

بالطبع لم أوافق، فلن أترك المال لرجل غريب! فالمبلغ ضخم وقد يغريه عجزي هنا في السجن عن استرداد المال إن أخذه، طلبت من زيد أن يتركني اليوم للتفكير.. وغدًا أقرر".

يغلق محمد القصة وهو مستمتع بما يحدث، متشوق للآتي، يحاول تخمين الجزء المتبقي منها، ولكن يقطع خيالاته رنين هاتف مكتبه، فيرد بضجر..

- ألو، المُقدم محمد سيف النصر

- مع حضرتك، الرائد محمد مجدي، أبلغك فقط لأن الأمر إنساني، أن أحمد مصطفى قد أصيب بنوبة هيستيرية ولم يتكلم بعدها، وفي انتظار إتمام الأوراق لنقله إلى المستشفى، ونعلم علاقتك به، فإن أمكنك مساعدته بإتمام الورق.

***



(٢٧)

في صباح اليوم التالي...

يجلس محمد في مكتب الضابط بمواجهة أحمد، استمر محمد في توجيه الأسئلة لأحمد الجالس أمامه وهو شاخص ببصره لا يرد عليه إلا بإيماءة خفيفة من حين لآخر، وقف محمد بعدما يأس منه..

- لماذا رفضت الذهاب إلى المستشفى؟

وهنا تكلم أحمد لأول مرة بصوت منخفض: سيموت

- من هو؟

- إسلام، سيموت.. لقد أخبرته، كن معه هذه الأيام أرجوك، فليس له من يهتم به.. اهتم بأمواله ومكاتبه.

- لا تقلق سأفعل.

همّ محمد بالمغادرة ولكن استوقفه أحمد: هناك طلبٌ آخر.

- ما هو؟

- أريدك أن تظهر على التلفاز، مع المذيعة ريتال فشعبيتها طاغية والكل يعرفها، اشرح لها كل شيء، أريد مصر كلها معي.. يجب أن يصدقني الجميع.. ذلك ضرري للخطوة القادمة.

- وما هي؟

ابتسم أحمد واكتفى برده: عدني بذلك.

- حسنًا، سأفعل.

***

يخرج محمد من المكتب ويقف خارجًا لا يعلم ماذا يجب فعله، اتصل بمازن..

- أين أنت يا مازن؟

- رجعت مكتب الجوازات لقد علمت تاريخ عودة أحمد لمصر بالضبط، والآن عليَّ فقط أن أبحث عن ورق نقل وظيفة والديه لأرى أين عملا لأعرف كيف..

قاطعه محمد بحدة:

- لطالما أخبرتك أن تستخدم عقلك، كان بإمكانك معرفة تاريخ موت والده بخطوة واحدة

سأله مازن مترددًا: كيف؟



- شهادة الوفاة يا مازن.. لقد اخترعوا شيئًا في السجل المدني اسمه شهادة وفاة، اسأل عنه أحد الموظفين هناك وسيشرحه لك.

أغلق محمد الهاتف وبحث قليلًا على رقم في الهاتف ثم اتصل به..

- ألو..كيف حالك في وظيفتك الجديدة.

- مَن المتصل؟

- المُقدم محمد سيف النصر..كنت عندي في المكتب منذ يومين.. ألا تتذكر حينما جعلتك مديرًا لمكتب إسلام طه في الجيزة.

رد الشاب بسرعة كأنه يخاف أن يسمعه أحد: كيف أخدمك؟

- أين يقيم إسلام هذه الأيام؟

- في الفيلا الخاصة به، لا أعلم عنوانها ولكنني...

- سأتصل بك بعد نصف ساعة لتخبرني أين هي.

وأغلق محمد الهاتف وهو منفعل ولا يعرف لذلك سببًا..

***

"أهلًا ومرحبًا بكم مرة أخرى، بالطبع إن تحدثنا عن شيء غير محاكمة المُنَجِم سنكون ضد رغبات المشاهدين، ولكننا نخشي أن

نضّخم الأمر، فهو متهم قد تثبت براءته وقد يُدان، أما عن أمر معرفته متى يموت الناس.. فنحن لا نتحدث فيما لا نعرفه.. ولذلك أتينا بشخص يدّعي معرفته الكاملة، سيوضح لنا الحقيقة بما لا يترك لنا مجالًا للشك، سيقدم دليلًا واضحًا للجميع على صدق المُنَجِم على حد قوله.. انتظرونا غدًا، وكما اعتاد المشاهدون، سنكشف الحقيقة..ولكم الحكم."

كان هذا صوت ريتال كعادته، بعد أن اتصل محمد بالقناة وعرّف نفسه على أنه صديق المُنَجِم وبخبرة ضابط الشرطة المتمرس قد أقنعهم بذلك..

***

لاحقًا في نفس اليوم...

يجلس محمد على مقعد مريح في حديقة فيلا إسلام، يشرب خليطًا من الفواكه لم يذق مثله، يرى القمر وقد انعكس على سطح مياه حمام السباحة، بينما تمتد الحديقة لمسافة كبيرة يتوسطها بحيرة صناعية صغيرة، وفي النهاية تجد سور الفيلا وهو يبدو صغيرًا لبُعد المسافة.. يجلس أمامه إسلام في فمه السيجار، برداء نوم مربوط من وسطه كالذي يرتديه الأغنياء في الأفلام، يظهر عليه التماسك وكأن أحمد لم يقل له شيئًا..

- لم أكن أعلم أنك تدخن.



- لقد أقلعت منذ سنوات، ولكن الآن لا يوجد فارق، فلم الحرمان؟

حاول محمد تغيير دفة الحوار..

- لماذا لم تستخدم هذه المساحة في إنشاء فيلا أخرى؟ فالحديقة أكبر من الفيلا نفسها.

- كنت أشتري مساحة من الخصوصية، لا أريد أن أسمع شيئًا من الخارج، فهذه عزلتي وملاذي.

- بالطبع هي عزلة، أقرب فيلا لك على بعد أكثر من عشر كيلو مترات في جميع الاتجاهات

- هذا لأنني صاحب هذه الأرض كلها، اشتريتها لأبني الفيلا بمنأى عن الناس.

على الرغم من قبض محمد على تجار مخدرات وتجار سلاح، ومهربين آثار.. وبات لياليه يُفكر في أموال هؤلاء وما يمكن أن تشتري، ولكن خياله لم يصل أبدًا أنه قد يجلس مع شخص بنى فيلا في مساحة عشرات كيلو مترات فقط ليستريح بها من حين لآخر. تذكر محمد بعدها خدمته في الصعيد والاستراحة التي كان يسكن بها.. فابتسم قائلًا:

- قابلت أحمد اليوم، وقد طلب مني الاطمئنان عليك.

- لا تقلق، أنا لا أخاف الموت، هل تعلم كل تلك الأموال التي تحسدني عليها من أين؟ من الكذب، طوال عمري أتبنى مبدأ أعمل به، والآن أدركت أن هذا المبدأ خاطئ.

- وما هو؟

- أن شخصًا وأحدًا لا يصنع فارقًا، ماذا يفرق إن كان عدد المجرمين في الشارع مليونًا وقد جعلتهم مليونًا زائدة واحدًا؟ لن تشعر به الدولة ولا الناس.. ولكن أشعر أنا بالملايين التي تراها.

- هل تقصد أنك دافعت عن أناس تعلم أنهم مجرمون؟

- هذا كان اختصاصي، تجار السلاح والآثار، مهربو المخدرات، قاتل وقد التصقت به التهمة لأحوِّل إعدامه إلى مؤبد.. ليعيش حياته رغدًا في السجن، لكن كل هذا تغير الآن، منذ أن قابلت أحمد.. آمنت أن رجلًا قد يصنع الفارق.

- هل شاهدت التلفاز اليوم؟

- ولماذا أهتم؟ هذه أخر أيامي.

- لقد اتصلت بريتال سأعلن للجميع ما توصلت إليه، غدًا سيكسب أحمد تعاطف المصريين.

ضحك إسلام، سأصنع شيئًا جيدًا في حياتي إن استمرت للصباح.

***



(٢٨)

في الصباح..

"أهلًا ومرحبًا بكم، اليوم هو اليوم الفاصل، لقد اتصل بنا على أنه صديق أحمد وسيشرح لنا كل شيء، وعندما قابلناه وشرح لنا بعض الذي علمه، كان لا بد أن يجلس معنا اليوم، فبمكانته الاجتماعية وحساسية علاقاته لن يمكننا اتهامه بالظهور معنا من أجل الشهرة، معنا اليوم الأستاذ إسلام طه المحامي في قضية أحمد، والمعروفة إعلاميًا باسم بالمُنَجِم، أهلًا بحضرتك"

كان ذلك صوت المذيعة من تلفاز مكتب محمد وهو منتبه لها..

- أهلًا ومرحبًا بحضرتك.

- في البداية نريدك أن تخبر المشاهدين ما تحدثنا عنه قبل البث.

- حسنًا، قبل كل شيء ما مصلحتى في المجيء هنا؟ سينعتني البعض بالجنون والآخرون بالتواطؤ معه، وقلّ من

سيصدقني.. لن أتحدث عن أدلة ملموسة وتواريخ مكتوبة، ولن أتحدث عن مقتل علاء وموت المستشار حسن جاب الله - رحمهما الله - سأتكلم عن شيء واحد.. وهو أنا.

- ليس هذا ما تحدثنا عنه يا أستاذ إسلام، نريد فقط بعض الأدلة التي تدفع المشاهدين لتصديقه كما أخبرتنا.

- ما يقال لكم لتصدقوني غير ما يقال لهم، أنا محامٍ قضى حياته يفرق بين الكذب والتصديق، وأنا أصدقه.

- وما الذي يدفع المشاهد لتصديقه؟ أقصد ما الدليل الذي يدفعك للمراهنة عليه؟

- مَن في مصر لا يعرف إسلام طه؟ هل تشكون أنني قد أضع رهاني على الحصان الخاسر بسبب تعاطفي؟

- لا ولكن إن أخبرت الجمهور بأمر اليوميات التي كتبها سيصدقون أكثر

- اليوميات كتبها في الماضي، ولكن ما سأخبرهم به في المستقبل.. لقد قال أحمد إنني سأموت قريبًا.. يمكنني الآن أن أجلس بمنزلي لتترقبوا موتي فإن كان كاذبًا سأعيش، ولكنني أراهن عليه بما تبقى من حياتي.

قالها إسلام وقام من كرسيه واندفع نحو نافذة الاستديو الكائنة على ارتفاع يجعل نصف القاهرة يظهر خلفها واخترقها



وهوي.. اختلط صوت الزجاج المتساقط مع صيحة الذعر المنطلقة من حنجرة ريتال مع حركة الكاميرا بعنف.. لقد كانت مفاجأة.

عجز محمد في مكتبه على النطق، فهو لم يفهم ما حدث، لقد طلب إسلام الظهور بدلًا منه، لأنه حين يموت سيصدقه الناس ولن يتهموا أحمد فيه، ولكن ما فعله الآن شيئًا لم يتصوره أبدًا.. هذه أول حالة انتحار على الهواء مباشرة في مصر.. أغلق محمد التلفاز غير مصدق لما حدث.. ألهذا الحد صدقه؟

***

قام محمد على جنازة إسلام ودفنه، وبعد عودته نام على أريكته، ومشهد قفز إسلام من النافذة يتراقص أمامه، يُعاد مجددًا ومجددًا..لم يستطع النوم، ذلك الضابط الذي اشتبك مع المجرمين وقتل منهم الكثير، ذلك الإنسان الذي شهد موت أبيه وأمه لم يستطع نسيان ما رآه اليوم.. استيقظ في مكتبه ليلًا، فلقد هجر بيته منذ زمن، قلما بات فيه، فهو يعيش وحيدًا بلا أهل فلقد ماتت أمه وتبعها أبوه من عامين، ولم يتزوج يومًا كي لا ينتهي الأمر بالطلاق فأيًا كانت لن تطيقه، هكذا فكر ولهذا قرر قضاء حياته وحيدًا...

لم يأت بذهنه شيء يضيع وقته سوى قصة أحمد، دخل الحمام وغسل وجهه وبدأ في القراءة..

"قضيت ليلي ساهرًا لا أعلم ماذا أفعل، فكل ما أحلم به أمامي ولكن لن يمكنني أخذه، لا أستطيع أن أثق بذلك المحامي، ولقد لاحظني أحد زملاء السجن وكان تاجر مخدرات في بداية مشواره الإجرامي، سألني عن سهري فقلت له إن هناك مالًا ينتظرني، ولكنه لن ينتظر حتى أخرج، أشار لي بثقة بأنه يريد سيجارة وكأنها ثمن ما سيقدمه من حكمة. أعطيته ما طلب وقال وهو ينفث دخانها، الأمر بسيط.. شخصٌ تثق فيه يستلم المال بدلًا منك، ولكن قبلها يوقع لك إيصال أمانة بنفس القيمة، تخرج وتستبدل مالك بإيصال الأمانة.. وقد كانت حكمة بالفعل!!

لم أجد سوى أن أعطيته علبة السجائر بالكامل، ووعدته بمبلغ كبير عندما أخرج..

وفي اليوم التالي حضر زيد متشوقًا لقراري، ولقد أخبرته أنني سأوقع توكيلًا للمحامي، وسيوقع لي إيصال أمانة بخمسين مليون جنيه، استسخف زيد الفكرة على الفور وقال إنه لا يعلم جيدًا عن قوانين البشر ولكن ألن يمكنه البقاء في المكسيك ولن أطوله؟ وإن رجع إلى مصر، هل ستصدق النيابة أن هناك من وقّع إيصال أمانة بهذا المبلغ؟ هذه الفكرة جيدة ولكن ليست في هذه الحالة وذلك المبلغ..

يبدو كلام زيد مقنعًا هو الآخر، وفجأة لمعت في ذهني فكرة، سألت زيدًا عن أوراقه التي أعدها، قال إنه بتلك الأوراق مصريٌ



مثلي بالضبط، وله كل ما يثبت ذلك.. أخبره حمدي بأنه سيوقع له التوكيل، فهو لا حاجة له بالمال، وما للجّن والمال..

وبالفعل.. اليوم التالي وقعت لزيد توكيلًا لاستلام الإرث، وهو وعدني بأنه سيودعهم في حسابي البنكي بمجرد استلامهم.

اعتدل حمدي بعدها على المسرح قائلًا، بالمناسبة زيد حاضر معنا اليوم، ولكن لا تخافوا.. فهو غير مؤذٍ"

***

(٢٩)

بعدها بأيام..

يرن هاتف محمد فيترك قهوته ليرد على مازن..

- ألو

- ألو.. أين أنت يا مازن الآن؟

- لقد توصلت لشيء ما.. إن والديه قد توفيا في نفس اليوم، وقد ماتت أمه بطلق ناري، ومات أبوه متأثرًا بجراح طلق ناري أيضًا.. ولكن الحادثة لم أجد عنها شيئًا في الجرائد، واضطررت إلى الرجوع إلى أرشيف الوزارة ومحاولة البحث، ولكن الأمر سيستغرق الكثير من الوقت.

- حسنًا، ابق على تواصل معي .. فليكن الله في عونك.

****



نزل محمد إلى المحاكمة، ووقف إلى الخلف هذه المرة، جاء القاضي (ولا يخفى على الحاضرين خوفه من أحمد)..

ولم يجرؤ محامٍ على قبول قضية أحمد بعد مصير إسلام، لذلك رفع أحمد يده طالبًا الدفاع عن نفسه، وبعد أن سمحت له هيئة المحكمة؛ تحدث أحمد موجهًا كلامه إلى الكاميرات متجاهلًا القاضي:

- لقد قضيت عمري كله أهرب من الموت، أراه في الوجوه وفي المرآة وفي التلفاز.. أرى الموت بدون أن أفتح عيني...لم أتصور يومًا أنه سيتم اتهامي في قتل أحدهم.. ولكن أين من قتلته؟ أين جثته؟ إن قتلته بالفعل فهناك جثة.. هل أخفيتها وأنا على الهواء أمامكم؟ هل اتصلت بهاتف التفجير على الهواء؟ إنني أطلب شهادة المُقدم محمد طه سيف النصر وشهادة أسامة علي عبد العظيم.

- هل هما حاضران؟

سأل القاضي.. هنا رفع محمد يده بتردد، ولكن أسامة لم يكن بالمحكمة...

طلب القاضي من محمد المثول أمام هيئة المحكمة.. وبعد أن لقنَّه القَسَمَ، سأله عما يعرف، شرح محمد الأمر كما شرحه من قبل في مكتبه، وحاول ألا ينسى شيئًا من التفاصيل.

اعترضت النيابة على شهادته، موضحة أن ما قاله لا يمس قضية القتل، وإنما ذلك تابع للشهرة الإعلامية وكسب تعاطف الجماهير.. ولكن محمد رد بسهولة:

- إنها ليست قضية قتل، فالنيابة لا تمتلك من الشهود ما يكفي للتأثير في هيئة المحكمة، ولا يوجد شهود لحادثة قتله قبل اختفاء الجثة.. أظن أنها ليست جريمة قتل مكتملة الأركان أليس كذلك؟ لقد قبضتم عليه لأنه قال إنه سيموت قبل موته.. وبإثبات صدقه تُثبت براءته.

تدخل القاضي ليوقف النقاش: حسنًا أين أسامة؟

ينادى حاجب المحكمة على أسامة ولا يرد.. لم يأت أسامة حتى الآن...

وكعادة المحكمة لم تستطع الفصل فأجلت القضية أسبوعًا للنطق بالحكم..

يشير أحمد إلى محمد إشارة معناها أين أسامة؟

***

يتصل محمد بأسامة بعد المحاكمة ولكن هاتفه مغلق..

يتصل بعدها بمازن..

- أين أنت يا مازن؟



- لقد اقتربت جدًا، الأمر معقد.. لقد كانا في الإمارات ثم..

قاطعه محمد بنفاد صبر:

- لا يهمني ما تقول، اذهب لغرفة أسامة في الفندق الآن، لم يحضر المحاكمة وهاتفه مغلق.. تحرك الآن.

- أمرك يا..

لم يكمل مازن المكالمة؛ حيث أغلق محمد في وجهه الهاتف كالعادة، وجلس مُمسكًا بالقصة وتدور في خيالاته الأحداث السابقة وقبل بدايته في القراءة مباشرة رن هاتف مكتبه، رد محمد وقد ظهرت عليه علامات الاحترام فجأة..

- المُقدم محمد سيف النصر، حقًا يا باشا؟ انتهى الأمر.. بالطبع سأعود لباقي القضايا، بالفعل لقد انشغلت بها أكثر مما ينبغي، شكرًا.. بالطبع لن أخبر أحدًا.

كان ذلك خال محمد، وقد اهتم به منذ وفاة والديه، وقد سانده عندما قُدمت فيه الشكوى من أشهر.. رجل صارم ذو منصب رفيع، رفيع لدرجة أنه قد علم من مصادره أن براءة أحمد أصبحت وشيكة، وإن لم يحدث شيئًا حتى الأسبوع القادم، سيكون ببيته اليوم التالي.

يمكنكم تخيل محمد الآن والابتسامة الآن تتوسط وجهه، وبدأ في قراءة القصة والابتسامة لا تفارقه..

"في اليوم التالي أتى المحامي، وعندما علم أن السيارة قد اشتريتها منذ أيام، استيسر الأمر وقال إنه ببساطة سيخبر النيابة أن قطعة الأفيون لا تمت لك بصلة، وأنك لم تلحظ حتى تم تفتيش السيارة، وسيساعدنا في ذلك مؤهلك الدراسي وأنه ليس لك سابقة في مخالفة القانون.

بدت الفكرة بالنسبة ليّ سخيفة ومصطنعة ولن يصدقها طفل قد شاهد "المحقق كونان" يومًا ما..

ولكن بطريقة ما كنت أحتفل بإخلاء السبيل بعد أن خرجت من النيابة...

كل هذا وزيد لم ينقطع عن زيارتي، حتى قبل عرضي على النيابة بيومين أخبرني أنه سيكون بالمنزل ليتحول، حتى إذا ساءت الأمور يمكنه نجدتي.

وعندما عدت إلى المنزل..

وجدت أدوات هندسية كثيرة، لم أتبينها في البداية ولكنها ستفيدني في المشروع، ذلك ما فهمته. لقد اشتراهم لي زيد..كم أحبك يا زيد."!



قطع قراءة محمد رنين هاتفه، فالتقطه بسرعة..

- هل وجدته يا مازن؟

- نعم، إنه معي ولكنه لم يحضر لأنه مريض.. والآن هو أفضل ونحن في الطريق إليك.

- شكرًا لله.. أنتظركما

وأغلق الخط....

***

(٣٠)

يدخل مازن وأسامة على محمد، فرفع محمد رأسه قائلًا: عندي لك خبر سيسعدك..

ولكنه توقف بعد رؤية أسامة، فوجهه شاحب بدرجة مخيفة وعيناه جاحظتان، لا يقوى على السير ويستند على مازن، ألقى السلام ولكنه لم يخرج إلا همسًا.

- ماذا حدث؟

صاح بها محمد.

- لا أعلم، لقد استيقظت الأمس بهذه الحالة، واستدعيت طبيب الفندق والذي ساعدني كي أتحسن لما صرت إليه.

قالها أسامة وقد توقف مرات ليسعل..

- هل تسمي حالتك هذه تحسنًا؟

- لم ترني الأمس، حمدًا لله.. ما الخبر الذي ستخبرني به.

- أحمد سيخرج في جلسة الأسبوع القادم، الأمر شبه أكيد.



فرح أسامة ولكن لم نتبين ذلك، لأنه أخذ في السعال بشدة..

- إلى ماذا توصلت؟

كان ذلك السؤال موجهًا لمازن، الذي انطلق بالإجابة كأنه ينتظره منذ أن وصل...

- كما توقعت يا باشا، فهو كاذب.. لقد ذهبت لمكتب الجوازات لأعلم متى وصل أبواه إلى مصر، وبعد أن وجهتني إلى مكتب السجل المدني، استطعت استخراج شهادة وفاة والده، وقد كُتب تحت سبب الوفاة "متأثرًا بجراحه". استخرجت بعدها بطاقته العائلية، واستخرجت شهادة وفاة زوجته وقد كتب بها "طلق ناري."

سأله محمد: متى حدث ذلك؟

- من نحو عشرين سنة، تحديدًا في ١٩٩٥/٧/١٥.

- أحسنت يا مازن، أريدك الآن أن ترافق أسامة، وغدًا تذهب له صباحًا وتحضره معك إلى أحمد، سنزوره غدًا، فأحمد قلق عليه للغاية، وسنخبره بأمر خروجه كذلك.

تدخل أسامة في الحديث طالبًا من محمد إجراء مكالمة من هاتف المكتب مع طبيب الفندق حتى يستعد له قبل عودته، رحب محمد ولكن نبهه بأنه الهاتف يتصل بالهواتف الأرضية فقط.. فطلب منه هاتفه المحمول، فأعطاه إياه.

بعد أن تبادلا السلام خرج أسامة مستندًا على مازن، قام محمد بدافع من غريزة رجل الشرطة - ليس للتشكيك - بمقارنة آخر الأرقام التي تم الاتصال بها بموقع على الانترنت ليجد أن صاحب الرقم هو طبيب بالفعل.

يجلس محمد مستندًا بظهره إلى ظهر المقعد، رافعًا قدميه على المكتب أمامه – والذي أعاده إلى مكانه سابقًا – سعيدًا لما آلت إليه الأمور..

فأحمد بالفعل قد شهد حادثة مقتل والديه، قد يكون بشقتهما أو خارج البلاد، أيًا كان قد شهد حادثة تقربه للموت بشدة، وتجعله لا يستطيع أن يقصّها على الناس لأنها تؤذيه كلما تذكرها.. وذلك يثبت صدقه.

كذلك خروج أحمد الأسبوع القادم، وقد اكتسب الشهرة التي يحتاجها ليصنع الفارق الذي يتحدث عنه فالأمر سيصبح ممتعًا، ومن جانب آخر شهادة محمد في المحكمة قد أعطته جانبًا من تلك الشهرة.

نظر محمد إلى القصة تحت يديه، وهو يرى مصادفة غريبة، فلقد اتصل به خاله قبل قراءة القصة ليخبره بخروج أحمد، ويقرأ القصة ليخرج حمدي من السجن في نفس الوقت.. من الواضح أن هذه القصة منضبطة على ما يحدث لأحمد.. يجب أن يُكمل قراءتها قبل أن يخرج أحمد.. ففي اليوم الذي سيخرج فيه أحمد يجب أن يخبره بأنه قد فهم الرسائل الموجودة في تلك القصة.

***



(٣١)

في صباح اليوم التالي...

يجلس محمد مع أحمد في المكتب، وأحمد متشوق لمعرفة السبب الذي يجعل محمد سعيدًا لهذا الحد، ولكن محمد أخبره أن ينتظروصول ضيف سينضم إلينا..

بعد قليل دخل أسامة مستردًا جزءًا كبيرًا من عافيته عن الأمس، فوجهه أقل شحوبًا، ويمشي دون الاستناد على مازن، ما إن رآه محمد وقد ابتسم لتحسن صحته، ولكن عندما رآه أحمد وجم قليلًا ثم قفز بحركة مباغتة خلف مكتب الضابط، وأمسك بقلمه بيده اليمني كل هذا وأسامة ومحمد لا يستوعبان ما يحدث، نظر أحمد إلى أسامة بعين مكسورة، ثم أخذ يطعن القلم في شرايين يده اليسري حتى تكسر القلم، كل هذا وأسامة واجم، ومحمد يحاول منعه ولكنه قد وصل إلى حالة من الهياج جعلت محمدًا بجسده الضخم أمامه كالحمل الوديع، لا يقوى على شيء منه.

دخل الضابط والعسكري ومعهم مازن على أثر الجلبة التي حدثت، مال الضابط على أحمد الذي وقع وبدأت بركة من الدم تتشكل حول يده اليسري، والتي يضغط محمد على الجرح كما يتذكر مما تعلم في الإسعافات الأولية.

صاح الضابط في العسكري: أحضر الطبيب حالًا.

لم تمر ثوانٍ حتى كان مازن جاثيًا على قدميه أمام أحمد، نظر مليًا إلى يديه، وانتشل أسامةَ مِن وجومه قائلًا: من الأفضل أن تتصل بالإسعاف الآن.

قام مازن وجذب اللوحة المعلقة أمام مكتب الضابط إلى الأرض، وقطع الحبل التي كانت معلقة به، أخذ قلمًا آخر من مكتب الضابط، كل هذا ودائرة الدم تزداد اتساعًا، ومحمد يضغط على يده صائحًا: هل تعلم ماذا يفعل؟

صاح به مازن متجاهلًا الفرق في الرتبة: استمر بالضغط.

نزل مازن ونظر مباشرة في عيني أحمد وتحدث بثقة وبرود كأنه يقرأ من كتاب غير مرئي أمامه :

- جسدك به أكثر من خمس لترات من الدم، تحتاج لفقدان ثلثه على الأقل لكي تبدأ بالقلق، وتلك الكمية كثلاثة أضعاف كمية تبرعك بالدم، ما أقوله هو أن فقدانك للدم لن يميتك، ولكن خوفك هو ما سيفعل.



ربط أعلى ذراع أحمد بالحبل، وصنع عقدة بسيطة وأدخل بها القلم، وظل يلف القلم مما يزيد من ضغط الحبل على ذراعه، حتى توقف النزيف تقريبًا، نظر إلى محمد:

- استمر بالضغط.

كل ثماني دقائق سنحل العقدة عن ذراعه ليصل بعض الدم إلى خلايا يده..

مال أسامة عليه: لماذا فعلت ذلك؟ إن البراءة أصبحت وشيكة ومن المحتمل أن تخرج الجلسة المقبلة؟ لماذا؟

ابتسم أحمد ودموعه تختلط بدمائه:

- ولمن أخرج؟ كعادته يختار، من حقه ألا يختارني هذه المرة أيضًا، ولكن ليس عدلًا أن يختار الموتُ كلَّ مَنْ أُحِبُ أمام عيني.

قال أحمد الجملة الأخيرة بانكسار.. انتظر أسامة لثوانٍ ليتأكد مما قد وصله، ثم خرج، صاح أحمد بغضب سيموت الثلاثاء، لا أريد أن أخرج، اعدموني أرجوكم.

***

في المحاكمة بعدها...

يقف أحمد في القفص، دموعه لا تهدأ.. يقف بجواره محمد يحاول تهدئته بكلمة من حين لآخر..

تطلب المحكمة شهادة أسامة، يدخل أسامة وقد نحل وجهه وذهب لونه، يستند هذه المرة على شخصين.. يقف في المكان المخصص للشهود، يبدأ بالقَسَمِ وهو يجاهد كي يكون صوته مسموعًا..

كاميرات القنوات كلها محدقة به، ظل صامتًا حتى سأله القاضي: ماذا تعرف؟

مد يده في جيبه وأخرج ورقة وضعها أمامه:

- ما أعرفه يعرفه الجميع. هو صادق وقد برهن على ذلك، صديقي لا يقتل.. صديقي يخاف الموت ويكرهه، صديقي لن يقتل في يوم من الأيام، ولكني سأخبركم شيئًا آخر ((وأخذ يقرأ من الورقة)).. منذ عرفت أحمد وهو شخص منطوٍ، يعيش حياته في غرفة وحده، لا يريد أن يحبه أحد، سلبه الموت والديه وهو صغير، سلبه الموت حبيبته في الكلية من أمامه، سلبه الموت المحامي بعدما اطمأنت روحه له...

توقف قليلًا وهو يقاوم تلك الدمعة في عينيه ولكنها سقطت.. سقطت لتكسبه مزيدًا من الصدق فوق لهجته الصادقة، وتكسب أحمد مزيدًا من التعاطف على ما قد كسبه بالفعل، أراهن إن جالت إحدى الكاميرات على الحضور لوجدوا عيونًا قد أدمعت رغم عنها..ثم أكمل:



- وها هو الموت يسلبني أمامَه، صديقه الوحيد وأليف روحه.. إن الموت يُكسب الحكمة، وقد كنت قريبًا منه طوال الوقت لقربي من أحمد، أنا الآن لا أخاف الموت، ولكنني أكرهه، سيحرم أحمد مني، سيقضي طوال حياته في تلك اللعنة..لقد اتضح أنها لعنة بالفعل.

زادت الحماسة في صوته أكثر على الرغم من حنجرته الضعيفة وسط جسده المهترئ، وخرج صوته مؤثرًا وسط دموعه:

- إنني أطلب من هيئة المحكمة طلبًا إنسانيًا بحتًا، إن كان هناك تردد عند سيادتكم في كونه بريء، أرجوكم اعفو عنه اليوم، لا تؤجلوها، أريده أن يدفنني، مَنْ أحنّ منه عليّ؟

وهنا علا صوت أحمد بالنشيج وهو يتكلم..

- أريده، أن يؤم الناس في صلاتي الأخيرة، أريده أن يقبل رأسي قبل أن يغلقوا كفني وينقولنني لمثواي الأخير غدًا... أرجوكم.

نظر محمد والذي دمعت عيناه – وذلك لم يحدث منذ زمن – إلى الموجودين ليرى ردود الأفعال فلم يجد أحدًا إلا وقد اغرورقت عيناه، حتى ممثل النيابة يمسح عينيه هناك في أقصى القاعة.

لم تأخذ المحكمة مداولة أو غيرها، فقرارها كان بنسبة كبيرة البراءة منذ أسبوع، فما بالك بعد أن رأوا ما حدث الآن.. قال القاضي:

- حكمت المحكمة حضوريًا على المتهم "أحمد مصطفى عبد الرحمن" بالبراءة لعدم كفاية الأدلة، وتوصي المحكمةُ النيابةَ بالتحلي بالإنسانية كما عهدناها، وتسهيل الإجراءات بأكبر قدر ممكن حتى يطلق سراحه اليوم.. رُفعت الجلسة.

***



(٣٢)

في صباح اليوم التالي...

يجلس محمد في مكتبه ينتظر خبر موت أسامة، وهو لا يصدق أن هذا يحدث فعلًا. كلما اقترب هذا الفتى من شخص مترًا اقترب منه الموت ألفًا..

فتح القصة ليقرأ فيها قليلًا كي يقتل مَلَلَهُ..

"طرقت الغرفة التي ينام بها زيد، وقد سمعت نفس الآهات حينما تحول في المرة الأولى، كان صعبًا على أن أبقى أكثر من خمسة أيام منتظرًا أن يتحول لكي أشكره.

قضيتهم بصناعة نموذج أولي للمشروع، وعملًا بنصيحة زيد؛ حاولت أن أجعله مشروعًا نصف دائم، حيث يستخدم طاقة قليلة، ونستغل الجاذبية والقصور الذاتي لتوليد حركة تمتد لأطول وقت.

كان الأمر أشبه بالحلم، أتممت النموذج المبدئي في ستة أيام، واختبرته، ظل يعمل ليومين كاملين مُنيرًا ثلاث كشافات إضاءة..كل هذا وزيد في غرفته.

مر أحد عشر يومًا، وزيد لم يخرج، وصوت الآهات كما هو.. يأتي حينًا ويغيب حينًا.. من المقرر أن يظهر من ستة أيام.

أتذكر أنني كنت أنام على الأرض في تلك الليالي واضعًا قدمي على الباب، حتى أشعر به عندما يُفتح.

ولكنه لم يخرج، مر يومان آخران وأنا بانتظار زيد، وصوت آهاته كما هو لم يهدأ ولم يزد.

في اليوم الخامس عشر بعد خروجي، استجمعت شجاعتي وقلت لا بد أن أدخل الغرفة، فهو قد مر عليه سبعة عشر يومًا في طور التحول، ولقد قال لي إنه أسبوع فقط..

أتذكر تلك اللحظة التي فتحت بها باب الغرفة، دخلت نصف مغمض، خائفًا أن أرى شيئًا ما لا أعلمه، حتى نظرت على السرير ولم أجد زيدًا.

أطلقت تلك التنهيدة، وكأنما أزحت جبلًا من الهموم من فوق كاهلي، فزيد قد تحول إلى جنّي، وذهب لقضاء شيء ما وسيعود، لربما رجع إلى قبيلته، ولكن هل له أن يعود دون أن يودعني؟ أم اختطفته قبيلته؟ الله معك يا زيد.. أتمني أن أقابلك مرة أخرى.. فلقد أحببتك.



هممت بالخروج من الغرفة، ولكن استوقفني فجأة صوت الآهات وقد بدأت من جديد، نظرت خلفي خائفًا، ولكنني لم ألحظ شيئًا غير اعتيادي بالغرفة.. لكن بعد فترة وتتبع الصوت وجدت سماعة كبيرة الحجم، تم توصيلها بشريحة ذاكرة، مُسجَلًا عليها تلك الآهات والتي تعيد نفسها...

ابتسم حمدي وهو يسير على المسرح، والجمهور كله منتبه إليه..

وجدت فوق تلك السماعة ورقة قد كتبها لي زيد، كل ما أذكره منها بعد ذلك الوقت الطويل: أنه أخبرني أن كل شيء قد مر من تحت عيني ولم ألحظه، أخبرني الحقيقة، وأجاب على كل أسئلتي، فهو في البداية نصاب ولكن بطريقة أذكى من المعتاد، يخترق الحسابات والبريد الإلكتروني للأخشاص.. حتى يجد صيدًا لديه من المال ما يدفعه لإلقاء شباكه عليه.. وكل عملية حسب ظروفها.. وكانت ظروفي أن يراسلني ليكون صديقًا افتراضيًا ويدفعني لإنفاق أموالي على الكتب وأدوات السحر وكنت أشتريها من أحد أتباعه، ولكن عندما وصل البريد الذي يخبرني بأنني ورثت خمسين مليونٍ اتَّجَهَ لخطته البديلة؛ وزعم أنه زيد، والأمر كله خدعة بسيطة.. فالسيارة التي وجدتها تحت البيت هي تلك السيارة التي كانت مغطاة في مكان سيارتي في تلك الليلة وأنا صاعد، وهو قد اشتراها من صاحبي ليكسب ثقتي.

ظللت واقفًا غير مصدق لما يحدث، كيف لم يره رجال المطعم عندما كان معي، بمنتهى البساطة؛ لأنهم كلهم رجاله، إن الأمر كله

مرتبٌ ليبدو على ذلك النحو، حسنًا هل كان ضابط الشرطة الذي تركنا نذهب بعد أن أشار له زيد من رجاله أيضًا؟ بكل بساطة نعم، ولم يكن رجل شرطة من الأساس.. كيف توقع أن يُقبض عليَّ حتى أكتب له التوكيل؟ لم يتوقع.. لقد أبلغ عني بنفسه.. لماذا أتى الميراث وأنا في السجن تحديدًا؟ لا لقد أتى مسبقًا ولكنه خفي ذلك عني.

أما عن شكله وطوله الفارع، لم يقل لي عن ذلك سوى أن الأمر لم يكن بتلك الصعوبة، بالإضافة إلى أنه احتاج إلى أن يطمس أذنيه حتى لا أرى السماعة بداخلهما والتي تنظم عمله مع أصدقائه..

لقد خدعني زيد، سرق مني خمسين مليون، وأهانني.. وأهان ذكائي ومضي. والآن بعد عشرين سنة يهددني في تلك الورقة إما أن أقص عليكم ذلك أو كان سيفضحني هو، وعلى كل حال لم يكن بذلك السوء، لقد ترك لي أدوات الاختراع وقد كلفتْه مليونًا من الخمسين على الأقل.

ولهذا أخبرتكم أنه غير مؤذٍ، فهو ليس جنّيًا من الأساس.

وقتها في المسرح وجد حمدي رجلًا في أقصى القاعة يجذب نظره لأنه الوحيد الذي يتحرك، وقبل خروجه من القاعه التفت نحو حمدي، وعلى الرغم من المسافة الهائلة بينهما يكاد حمدي يقسم أنه رآه يبتسم..

رجع حمدي خلف المنصة بعدها، قائلًا:



- لقد كانت تلك قصتي.. قصصتها رغمًا عني ولكنني الآن أكثر راحة، فالاختراع قد اخترعته بفكري وجهدي، وما أنا فيه الآن من نعمة وتقدير ورزق فهو جزاء من الله على صبري بعد ضياع حلمي من يدي، نعم أنا من ضيعته، نعم لم يكن حلمًا بريئًا ولكنني لم أخطئ.. والأهم أنني لم أيأس.

أنصحكم ألا تعلقوا آمالكم على شيء لا تفخرون به في المستقبل، فلعله يقابلكم زيد كما قابلني..

شكرًا لكم على استماعكم..

ولأول مرة ينهي حمدي كلماته ولا يتبعها تصفيق في أي من مؤتمراته، فكل من بالقاعة عيناه كانتا مثبتتين عليه، والمفاجأة قد استولت عليهم..

ضحك حمدي قائلًا: من يريد أن التقاط صورة تذكارية معي؟

"تمت"

***

(٣٣)

جلس محمد حتى الساعة الثامنة في مكتبه ينتظر موت أسامة وبين لحظة والأخرى يتحقق من أن هاتفه يعمل..

طال عليه الانتظار، والشيء الذي يسليه قد انتهى مع انتهاء القصة.. جلس محمد على المكتب واضعًا قدميه فوقه، وبدأ بالتفكير في القصة بصوت مسموع..

قصة جيدة، ولكنها ضعيفة..لا أظن أن شخصًا سيعيش مع إنسان فترة ويقتنع أنه جنّي.. ومن سيثق بإنسان ليضع بين يديه خمسين ميلون، حتى فكرة الاختراع مبالغ فيها.. لا يوجد ما يسمى بالمحرك دائم الحركة إلا في خيالات العلماء... الأمر كله خيالي لا يحدث منه شيء في الحقيقة، ولكنها في النهاية قصة.. هذا ما يشفع لها.

إنها لم تخدعني، فقط لم أستطع توقعها لأنني لم أتوقع أن تكون بهذا السوء، نهاية سيئة فعلًا..

ابتسم وهو يعبث بالأوراق بقدمه :



- ولكن حمدي هو أحمد بالفعل، فأحمد قد خسر والديه في حادثة مثل حمدي، وكذلك كلاهما كانت لديه قوة خارقة فحمدي كان لديه الجنّي وأحم...

قطع تفكيره صوت هاتفه الذي وضعه على المكتب..

- هل حدث شيء يا مازن؟

- لقد عرفتُ كل شيء عن الحادثة.

- اعذرني يا مازن، فأنا أنتظر هاتفًا أهم.

- سألخص لك بأسرع ما يمكن، أحمد كان عائدًا مع والديه من الإمارات العربية المتحدة يوم ١٩٩٥/٧/١٥ وقد تم قتل والديه بوحشية أمام عينيه، ذلك الذي جعله فيما بعد يرى ما يراه، ولك..

قاطعه محمد: حسنًا لقد فهمت.. شكرًا لأنني كما أخبرتك سابقًا أنتظر هاتفًا مهمًا.

وأغلق محمد الهاتف وهو يشعر بالشفقة نحو أحمد، مَن الذي يتحمل رؤية موت والديه؟ عاد محمد واضعًا قدميه على المكتب.. ولكنه هبّ واقفًا مما أوقع الهاتف بقوة.

بدأ محمد في تجميع أجزاء الهاتف وعينيه جاحظتين ولم يستطع تركيب الهاتف أكثر من مرة بسبب تسرعه، وما إن عادت الحياة إلى الهاتف حتى اتصل بمازن..

صاح به بشكل جعل مازن يتردد..

- متى كان التاريخ؟

- ماذا؟ لحظ..

- تاريخ الحادثة متى كان؟

- 15/7/1995

- أريدك أن تعرف أكثر عن الحادثة، أريد كل شيء، ماذا فعل أحمد وأين ذهب، كيف لم ألحظ الشبه بينهما؟

- بين من؟

أغلق محمد الهاتف بعصبية بالغة وخرج من الغرفة وصفق الباب خلفه، ذهب محمد إلى أرشيف الجرائد.. أخرج العدد الخاص بيوم ٢٠١٥/٧/١٥ ، نظر سريعًا على عناوين الجريدة ولم يجد شيئًا تنهد بارتياح، ثم وقع نظره على العنوان الذي توسط الصفحة الأولى من الجريدة التي تحتها مباشرة..

"رئيس الوزراء قدم التعازي لأسرة الوزير/ حسام أبو شارب مساء أمس"

رفع عينيه قليلًا ليرى التاريخ ودعا اللهَ ألا يكون ٢٠١٥/٧/١٦ ، ولكنه كان ذلك التاريخ بالفعل، لقد مات وزير الصحة ٢٠١٥/٧/١٥ أي: بعد عشرين عامًا بالضبط من موت والديه..

"هل هناك علاقة بين الحادثتين أم أن الأمر صدفة؟"



طرح عقلُه ذلك السؤال عليه، أجاب محمد بصوت مسموع وكأنه يستسخف سؤاله: ومنذ متى آمنتَ بالصدف؟

***

خرج محمد من المبنى وعقله يعمل بكل الاتجاهات.. يمر بالشارع ولا يفهم ماذا يحدث لقد..

استوقفته صورة لم يصدقها في تلفاز أحد البقالين.. عاد للخلف ودخل المحل، لم تكن صورة بل كان التلفاز.. ومَن على التلفاز! إنه أحمد يجلس مع ريتال..

بدون كلام مد محمد يده إلى جهاز التحكم، وزاد من صوت التلفاز، لم يعترض عليه العجوز الجالس بجانبه ليسمع ريتال تتحدث وأمامها أحمد وعلى عينيه أثر بكاء شديد..

- كلنا نعلم ما تمر به، فهو صديقك الوحيد.. ولكنك أخبرتنا أنك تريد أن تكون هنا؛ لأن بإمكانك مساعدتنا بشيء أكبر.

رد أحمد ببطء ومسحة الحزن على صوته وكسرة عينيه تخبرك بأن قلبه مكلوم..

- سنوات طوال وأنا أشاهد ما يحدث ولا أتدخل، لماذا لم تسألوا أنفسكم عن سبب تدخلي الآن؟

- لقد سألت ذلك السؤال ولكن لم أجد له ردًا.

- أستطيع أن أرى متى يموت الناس، في خلال أسبوع.. قليلون من زادت المدة معهم إلى عشرة أيام.. وتساءلت كثيرًا لماذا أنا؟ لماذا لُعنت بتلك الطريقة؟.. لا أستحق ذلك.. ولكنني عرفت السبب عندما رأيت موت أحد الوزراء سابقًا.. وزير الصحة د. حسام أبو شارب.. كان التاريخ بعيدًا أكثر من شهر.. ولكنني أرجعت الأمر لأنه كان تاريخًا هامًا بالنسبة لي.. لذلك قد يكون هو السبب في ظهوره .. بعدها رأيت موت بعض الوزراء ومجموعة من كبار رجال الأعمال وكلهم سيموتون بعد فترة من المفترض أن تتعدى مدى رؤيتي.. جعلني ذلك أراقب الوزراء وكبار رجال الأعمال، أحضر اجتماعتهم ومؤتمراتهم..كنت أقتفي أثر أكبر عدد منهم.. وبالفعل رأيت ميعاد موت الكثير منهم.

- لماذا هُم بالذات؟

توقف أحمد قليلًا ليمسح الدموع عن عينيه، وصوته قد أصبح همسًا:

- لأن هذه رسالتي، هذا هو هدفي من الحياة.. إذ قبل موت رجل الأعمال يجب أن أنبه رجاله حتى لا تسقط شركاته.. بالطبع ليس شفقة عليه.. فمن مات لا يهمه المال، وبالطبع ليس لأسرته فلن يشعروا إن فقدوا بضع شركات.. ولكن الأمر هو أن رسالتي هي إنقاذ الشعب، فمع موت ذلك العدد دفعة واحدة في مثل تلك الفترة القصيرة.. ستنهار شركاتهم دفعة



واحدة، وستغدو أسعار أسهمهم في البورصة بأرخص ما يكون.. وذلك سيضر بالمصريين كلهم.. ستذهب أموالهم لمن يشتري الأسهم.. وكذلك سيجعل ذلك المستثمرين ينسحبون من الشركات.

استجمع أحمد نفسه وعيناه تفر منها الدموع:

- ولأنني كنت مسجونًا لم أستطع الذهاب إليهم، وها هم سيموتون في خلال أيام، ((وأشار إلى ورقة موجودة على المنضدة أمامه منذ بدأ الحلقة)).. من المفترض أن أذهب إليهم كحامل رسالة الموت، وأخبرهم بأنه ينتظر في الخارج.

رجع أحمد برأسه إلى الخلف وابتسم تلك الابتسامة التي جعلت محمدًا لا يريد أن يسمع ما سيقوله:

- لم يكن على الموت أن يأخذ كلَّ مَنْ أُحب، لن أطيعك أيها الموت، تجعلني أجلس هنا منتظرًا موت أسامة بعد دقائق، وتريديني أن أساعدهم؟ لا لن أستطيع وأنا مكلوم الفؤاد، محطم الروح..

ونظر في ساعته ثم انفجر في البكاء.. الأمر الذي دفع محمدًا إلى الخروج كي يذهب إلى أسامة في الفندق...

ولكن استوقفه صوت المذيعة تقول:

- آسفون لإبلاغكم ما يأتي، ولكنه يتوجب علينا لمصلحة الوطن..

فنظر للتلفاز وجدها تقرأ من الورقة والقلق ظاهرٌ عليها وقد جلس أحمد أمامها بهدوء تسقط دمعة من عينه بين الحين والآخر وبدأ بتذكر والده يوم الحادثة..كيف فوجئ عندما وجده حيًا وتم نقله إلى المستشفى، ولكن المستشفى لم تستقبله..لم يكن معه ضامنٌ ولم يكن معه ما يكفي من المال.

يتذكر أحمد كيف صرخ في موظف الاستقبال: نحن أغنياء.. لقد عدنا من الإمارات للتو.. أبي يملك مليوني دولار.. سأعطيك ما تريد.. أرجوك.

ويتذكر ملامح ذلك المستفز الذي رد عليه ببرود: لا يمكننا ذلك، فالدفع مقدم!

يرى نفسه وهو يتذلل له: أرجوك إن أبي يحتضر في الخارج.. ألا تملك قلبًا؟

رد عليه ببرود: من حُسن حظك أن مدير المستشفى يمر خلفك الآن، حاول أن تطلب منه فقد يُعينك.. د.حسام هناك من يريدك.

ذهب إليه أحمد يرجوه أن يقبلوا أباه ولكن كان رده أنْ نادى الأمن ليلقي هذا الولد بعيدًا، وإن كان أبوه يموت حقًا بالخارج، ألقوه هو الآخر بعيدًا.. نحن لا نريد مشاكل أكثر من ذلك.

- السيد حاتم رمضان وزير الاستثمار سيموت فجر اليوم.

- السيد عبد الرحمن مصطفى رجائي صاحب مصانع رجائي للأغذية سيموت فجر اليوم أيضًا.



- السيد محمد أسامة عدلي صاحب شركة "أم أو أس" للإنشاءات الهندسية سيموت ظهر الغد.

- السيد محمود حسن أسامة صاحب شركات "سبعاوي" للاستيراد والتصدير سيموت ظهر الغد.

- السيد مصطفى محمد علاء صاحب شركة "كال" للاتصالات سيموت فجرًا بعد الغد.

- السيد إياد مُغازي صاحب شركة "مُغازي" للأمن والحراسة.

- وكذلك سيموت السيد محمد عبد الحكيم حلمي صاحب مصانع "حلمي استيل" للحديد والصلب ظهرًا بعد الغد.

***

(٣٤)

يصل محمد بعدها مباشرة إلى الفندق ويسأل الاستقبال إن رأى أسامة، ليجد الإجابة أن أسامة قد غادر الفندق أمس بعد أن رجع من المحكمة..

يتصل محمد بمازن ويخبره بأنه يجب أن يقابله الآن عند الفندق، بعد قليل يصل مازن ويخبره محمد بما حدث ويقول له مشدداً:

- يجب أن نجد جثته الآن، أين تتوقع أنه ذهب قبل موته؟

- لن يمكن أحد معرفة ذلك سوى أحمد.

يخرج محمد الهاتف ليتصل بأحمد ولكن هاتفه مغلق.. بالطبع فهذا ما توقعه محمد:

- أريدك أن تذهب الآن إلى الأستوديو وتراقب أحمد من مسافة.

كانت تلك التعليمات من محمد إلى مازن بلهجة الأمر..

***



يتصل بعدها بقليلٍ مازنٌ بمحمد ويخبره بأن أحمد قد دخل أحد البنوك الآن.. أخبره محمد أن ينتظر ولا يتدخل حتى يصل إليه..

بعد وصوله..

- هل هو بالداخل؟

- لا، لقد رحل منذ قليل

- ولمَ لمْ تراقبه؟ ألم أطلب منك ذلك؟

- لقد ظننت أنك تريدني أن أنتظر وألا أتدخل حتى تأتي.

- قصدت الانتظار بالخارج لحين عودته من داخل البنك، لا تدخل معه..لم أعلم أنك لا تتحلى بالذكاء الكافي لتفهم ذلك.

قالها محمد وقد بلغ الغضب منه مبلغه، دخل البنك وتبعه مازن، قصد محمد أحد العاملين وتحدث وما زالت على وجنتيه أثار احمرار نتيجة نوبة غضبه السابقة:

- المُقدم محمد سيف النصر، كنت أتساءل عن العميل أحمد مصطفى عبد الرحمن، لقد خرجِ لتّوه مِن هنا.. هل تعرفه؟

- ومن لا يعرفه في مصر وخاصة في البنك هنا؟ فهو من أكبر العملاء لدينا.. لقد كان هنا لكي نُحضر له المبلغ الموجود بحسابه حتى يستطيع صرفه.

- لماذا؟ هل هو ضخم لهذه الدرجة؟

- أخمن أنه يمتلك نحو سبعة ملايين...

انطلق من محمد صفيرٌ تعجب ولكن استوقفه الموظف قائلًا: دولار.

- كيف؟

- لا أحد يعلم ولكنني بدافع الفضول قد.. هل هذا الكلام رسمي؟ لأنه من الممكن أن يؤذيني في عملي.

- لا تقلق

قالها محمد بثقة جعلت الموظف يتكلم بطمأنينة وكأنها قد انتقلت من محمد له..

- لقد جلس معي مرة حينما كان المدير مشغولًا..لم أتبين المبلغ الموجود في حسابه، ولكن عرفت أنه عام ١٩٩٥ كان هناك مليوني دولار باسم والده.. يومها كان الدولار بنصف سعره الآن، أي: كان يمتلك نحو سبعة ملايين جنيه، وبمعدل ٩% الذي يقدمه البنك في السنة وبحسبة بسيطة، يجب أن يتخطى المبلغ السبعة ملايين دولار... أي: أكثر من خمسين مليون جنيه الآن بعد تضاعف الدولار.

مد محمد يده ببطاقة شخصية، وقال له : أشكرك، إذا حضر مجددًا أرجوك أن تخبرني.

- بالطبع، لا تقلق.



يعود مازن مع محمد إلى المكتب، ويجلس محمد على مقعده ويعود برأسه إلى الخلف ويغمض عينيه لفترة تجاوزت الدقيقتين..كل هذا ومازن لا يتكلم..

- هل تعلم أن الوزير قد مات في نفس تاريخ حدوث الحادثة لوالدي أحمد؟

قالها محمد بمزيج من تمالك الأعصاب واليأس..

- لم ألحظ ذلك، ولكن ألا يمكن أن تكون صدفة؟

نظر له محمد نظرة اللائم..

- ليست صدفة، هناك حلقة مفقودة. أحمد يعيش بشقة في عمارة بعد أن باع الفيلا التي كان يسكن بها، وأجَّر شققها وعاش من إيجار الشقة، ولكن فجأة نكتشف أن لديه حسابًا ضخمًا.

- مِمَ تخاف؟

- أخاف أن يكون مخطط أحمد ليضع المثل الأعلى بافتعال مشكلة كبرى تضر بالبلد ثم يعود كفارس مغوار ويخلصنا من المشكلة، فالناس تصدقه، ومَن يصدقه الناس يتحكم فيهم.

- أتريد رأيي؟ أظن أن أحمد قد اختار يوم وفاة الوزير ليبدأ منه، لأنه يوم هام بالنسبة له، فهو في نفس تاريخ الحادثة.. وأظن أيضًا أن أمر المثل الأعلى والقدوة وما إلى ذلك سيكون بأن يقنع الناس بأن من السهل أن يستعمل رجل عقله ليجمع

الناسَ حوله ويوجههم نتيجة موهبته، فلكل موهبة وهو يطمح لأن يستخدمها الناس.

- إن كنت محقًا بشيء، فهو الجزء الأول من كلامك.. أما الموهبة وما إلى ذلك.. فليس صحيحًا.

- لا أدري..لم ألق منجمين من قبل.

- ولكن أليس غريبًا؟ امتلاك شخص في التسعينيات مليوني دولار، المبلغ كبير بالنسبة لأسرة عادية.

- لم يكن عاديًا، لقد عمل في تطوير الكثير من الإمارات وكان يتعامل مع الحكام مباشرة، وتعلم يا باشا أن مليوني دولار لهؤلاء كعشرة جنيه بالنسبة لنا.

- كيف عرفت ذلك؟

- لقد كنت أجمع المعلومات عن الحادثة وسبب عودتهما من الإمارات.. ولكنني لم أتوصل إليه.

- حسنًا، اذهب إلى ما كنت تفعله.. فأنا أحتاج إلى التفكير الآن.

***



(٣٥)

"من الواضح أن قضية المنجم لم تنته، حتى بعد براءته، فاليوم معنا ضيف ستصدمون لدى رؤيته كما صُدمت، يظهر للجمهور لأول مرة منذ اختفائه منذ شهور، أرجوكم رحبوا معي بالأستاذ علاء جابر رئيس تحرير جريدة التنمية الأسبق..

(تدور الكاميرا لتستقر على وجه علاء الذي يجلس مستكينًا وعلى وجهه ابتسامة تقول لمحمد انتصرت عليك)

- في البداية.. نشكر الله على سلامتك

- شكرًا لكِ.. إنني بخير.

- أين كنت؟

- لقد كنت مختبئًا طوال الفترة الماضية، لماذا؟

- لقد وردتني رسائل تهديد كثيرة بسبب عملي ولكنني لم آخذها على محمل الجد، وعندما سافرت إلى شرم الشيخ، لاحظت من يتبعونني وبعد التأكد من ذلك، أردت الرجوع إلى مصر.. فأخذت القارب لأخذهم خلفي، وأغطس وأعود وهم ينتظرونني، فأرجع إلى القاهرة لأتقدم ببلاغ إلى محمد باشا.

- كيف نجوت؟

- نزلت من الفندق ذلك اليوم واتجهت إلى البحر لا أعلم إلى أين، وقفزت في الماء تاركًا كل شيء حتى الهاتف على القارب.. على أمل أن ينخدعوا بذلك.. ولكن عندما انفجر القارب علمت أن الأمر أكبر مما أعتقد.. حمدًا لله أن هناك كهفًا تمسكت به.. أصبت ببعض الرضوض والكدمات ولكنني كنت قادرًا على العودة.

- ولماذا لم تظهر؟ لقد كانوا على وشك إعدام أحمد.

- كنت بمنطقة لا يصلها التلفاز، لقد كنت في الواحات عند صديق لي.. وأكثر ما استغربت له أنهم أتهموا أحمد فيّ، فأحمد شخص طيب.. لقد قابلته أكثر من مرة.

كان ذلك صوت التلفاز يسمعه محمد ومازن، والذي قطعه محمد بسبة بذيئة قد خرجت رغمًا عنه.

- أتدري يا مازن عندما أخبرني أن لديه بطاقة أخيرة تخرجه من السجن..لم أدر أن هذه البطاقة هي عدم مقتل علاء من الأساس.

- يجب ألا ننفعل، هو يريد مننا أن نظل في انفعالنا ليسبقنا.. إن كان هناك خدعة سنكتشفها.

قالها مازن محاولًا تهدئة محمد الذي احمرَّ وجهه، وعلا صوت تنفسه.

- أنت لا تفهم يا مازن، نحن نكتشف فقط ما يريد أن يكشفه هو... كيف توقع موته ولم يمت؟



"وماذا ستفعل؟

قالتها ريتال لعلاء الجالس أمامها.

- سأتقدم ببلاغ للشرطة بما وصلني من تهديدات فمن هددني حاول قتلي وقد يحاول مجددًا

- أوافقك الرأي"

***

يجلس محمد وأمامه كوب ليمون قد أحضره له مازن بعد أن صار غضبه كموجة تسونامي تطيح بكل ما أمامها...

- لقد صدَّقته، لقد صدقت ذلك الوغد.. وفي النهاية ينتهز فرصة أنه يرى ما لا يراه غيره، ليدخلنا في متاهة صنعها هو، ليقتل من يقتل، ويموت طبيعيًا مَن يموت ونحن لا نستطيع التمييز بينهم.

- اهدأ قليلًا، لا زالت لدينا الفرصة..أسماء رجال الأعمال التي قالها سنراقبها جميعًا وإن اقترب من أحدهم سنقبض عليه متلبسًا وقتها.

- أحسنت يا مازن، لا يوجد ما يلعب به هذه المرة، سأقبض عليه لأزوره في السجن يوميًا وأتشفى منه، سأزوره حتى أشيب، سأزوره حتى يخبرني متى سأموت.

قالها محمد والغضب قد استولى عليه، أقول لكم إنه إذا تم القبض على أحمد فعلًا فلن يكون ذلك من حسن حظه أبدًا..

بدأ مازن ومحمد بتوزيع العساكر على منازل رجال الأعمال لمراقبتها، واستاذن مازن من محمد ليجري بحثًا ليعلم من مات ومن قتل في الأحداث الأخيرة، وليبحث عن دافع وعن ترابط بين أي اثنين منهما، وإن كان هناك علاقة بين أي منهم، سيكون هم المقصودون.

***

بعد أن غادر مازن بقليل، تصل رسالة إلى هاتف محمد مفادها أن هاتف أحمد قد تم تشغيله، يُمسك محمد الهاتف متنفسًا ببطء محاولًا ألا يظهر الغضب في صوته قبل أن يتصل بأحمد، ويتفاجأ عندما يرن هاتفه ويجد أحمد هو المتصل، فيرد..

- ألو

- هل وجدتموه؟

- للأسف لم نجده، لقد غادر الفندق الأمس.. لكن لا تقلق سنجده قريبًا.

- ارجو أن تبلغني فور العثور عليه

- أريد أن أسألك سؤالًا

- وما هو؟

- كيف لعلاء أن يظل حيًا إلى الآن؟ ألم تر موته؟

ضحك أحمد على الرغم من الحزن في صوته..

- كان سيتم سجني آجلًا أم عاجلًا، فأردت أن أسجن في قضية أستطيع الخروج منها.. فبمجرد ظهور علاء حيًا سأخرج..



وكذلك كان لا بد من أمر ليجذب انتباه الناس ليصدقوني.. على أي حال لقد كانت كذبة بيضاء.

- ولماذا وافق؟ أقصد ماذا سيستفيد من كل هذا؟

- جريدته.. بعد مقتل رئيس تحرير الجريدة وتضخيم الأمر بهذه الطريقة، أصبحت جريدته من أشهر الجرائد وزادت مبيعاته بالإضافة إلى الشهرة الشخصية له.. أتوقع أنه سيكون مذيعًا لأحد البرامج الكبرى قريبًا.

سكت محمد قليلًا معاتبًا نفسه على عدم توقع ذلك، ثم سأله مجددًا:

- ماذا عن القصة؟ لا أرى ترابطًا بينها وبين ما يحدث.

- لأن الأمر مرهون بكيفية فهمك لها.

- لقد لاحظت أن حمدي يشبهك جدًا يا أحمد.

- ويشبهك أيضًا

- ماذا تقصد؟

- أنت حمدي

***

(٣٦)

يرن هاتف محمد لينتشله من تفكيره..

- ما الأخبار يا مازن؟

- كما ظننت يا باشا، هناك رابط بين اثنين منهما ومنهم الوزير أيضًا

- احكِ لي.

قالها محمد بحماس.

- الدكتور حسام عمرو قبل كونه وزيرًا منذ زمن رُفعت عليه إحدى القضايا، وتم تبرئته منها وعندما حصلت على ملف القضية – وقد كان ذلك صعبًا للغاية – وجدت أن المحامي هو إسلام طه نفسه، وقد ت..

قاطعه محمد وقد ظهرت في صوته خيبة الأمل:

- لأول مرة أخبرك بأنها صدفة، لقد انتحر إسلام أمام عيني، بل أمام أعين مصر كلها.



- أعلم ذلك، ولكن ألا تعتقد أن الأمر يستحق الاهتمام؟

- لن أحبطك، استمر فيما تفعل قد تعثر على شيء

وأغلق الهاتف دون سلام.. ولم يؤذ ذلك مازن، فقد تأقلم معه.

جلس محمد ساكنًا أو ذلك ما ظهر منه، ولكن عقله ثارت به مئات الأسئلة التي يجب الإجابة عنها قبل فوات الأوان.. ولكن استوقفه سؤال واحد.. هل تصدق أحمد؟

أجاب بصوت مسموع: نعم أصدقه!!

"قد يكون اختيار أحمد ليوم وفاة الوزير الذي هو نفسه يوم حادثة والديه ليبدأ ما هو فيه الآن فقط لأهمية التاريخ بالنسبة له، وبوفاة المحامي منتحرًا ستكون العلاقة بينهما أمرًا لا فائدة منه ذلك إن كنت تصدقه."

كان ذلك صوت عقل محمد داخل رأسه..

"لا أصدق أنك تفترض حسن النية وتعترف بوجود الصدف"

رد محمد بصوت مسموع: إنها موجودة.. شئنا أم أبينا .

يوجه محمد تفكيره بعد ذلك إلى القصة وتكلم عقله مجددًا..

"ماذا قصد عندما قال إنك حمدي؟ هل أنت حمدي فعلًا أم أن التعبير مجازي، يقصد أن حمدي يشبهك كما يشبهه؟ ماذا يقصد؟ هل يمكن فعلًا أن تكون أنت حمدي؟ وإن كنت أنت حمدي فمن هو؟."

صاح محمد كأنه اكتشف شيئًا: سيكون هو الجنّي.

أخرج محمد هاتفه بانفعال أقرب للحماس منه للغضب واتصل بمازن..

- أين أنت؟

- لقد طرأ على ذهني شيء هام يجب أن أخبرك به وجهًا لوجه.

- وأنا أيضًا توصلت لنظرية ستجعلنا بالمقدمة.. أريدك هنا الآن.

- أنا في الطريق بالفعل.

أغلق محمد الهاتف وأخذ يقلب صفحات القصة، يتوقف بين الحين والآخر عند أحد الفصول

***



(٣٧)

يصل مازن إلى المكتب، ويدخل بحماس شديد ليجد محمدًا مستغرقًا في قراءة القصة..

- هل تقرؤها ثانية؟

- نعم، أحمد أخبرني أنني حمدي، وأشك بأنه هو زيد.

- عندي لك سؤال، أظن أن الحقيقة تختبئ وراءه

قالها مازن ببطء كأنه يغيظ محمدًا..

- ما هو؟

- نعلم أن أحمد هو المُنَجِم ويعلم متى يموت الناس أليس كذلك؟

- بلى!

- وكذلك نعلم أنه قد تنبأ بموت الوزير في الحمام قبل موته، أليس كذلك؟

- بلى!

سكت مازن قليلًا وعلى وجهه ابتسامة زادت عندما تبدلت ملامح محمد من عدم الفهم للمفاجأة..

- لقد قتل الوزير.. هناك شيء ما بينه وبين الوزير ولا نعلم ما هو، ولكنه قتله.

قالها مازن بثقة!!

"ولكن يبقى السؤال.. هل قتل غيره؟" كان ذلك السؤال داخل عقل محمد..

وكأن مازن قد سمع أفكاره:

- سأذهب الآن كي أعرف أكثر، فإن كان هناك علاقة بين اثنين فقد تكون صدفة، ولكن إن كان هناك ثلاثة لن تكون.

- فليكن الله في عونك.. أريدك أن تتابع العساكر أمام بيوت رجال الأعمال.. وتبلغني بمن يمت منهم.

***



"انهيار حاد في سوق البورصة وقد سجل اليوم تراجع كبير وخاصة في مجالات رجال الأعمال الذين تنبأ المُنَجِم بموتهم، وقد تدافع المستثمرون المشتركون بشركاتهم ببيع الأسهم وأعرض آخرون عن التعامل معهم، مما أدى إلى إفلاس معظمهم وتسريح العمال."

كان ذلك صوت ريتال في التلفازومحمد يستمع لها غيرمصدق ..

"هل علم أحمد بذلك؟ هل أراد أن يؤذي الناس لأنه تأذى كثيرًا؟ هل يمكن أن يكون بهذا الشر"

عاد عقله لطرح الأسئلة مرة أخرى...

***

اليوم التالي...

يجلس محمد في المكتب مستغرقًا فيما تقوله ريتال..

"حالة عامة من الدهشة تنتاب المواطنين، إثر ظهور السيد الوزير حاتم طه اليوم في المؤتمر المقرر انعقاده وهو بصحة جيدة على عكس ما تنبأ المُنَجِم، وتبعه في الظهور السيد عبد الرحمن مصطفى رجائي ليبرهن على أن صحته جيدة وأن شركته ما زالت قائمة محاولًا إيقاف النزيف المالي الذي تسبب به أحمد عندما أعلن ذلك، حقيقةً لا نعلم دوافع أحمد لذلك ولقد أخبرنا ذلك

ونحن نخبركم به كسائر الأخبار، ولكم أن تقبلوه أو ترفضوه أعزائي المشاهدين.. غدًا سيكون ضيفنا أحمد مصطفى كما وعد..لا نعلم إن كان ينوي الوفاء بوعده أم لا.. ولكن إن حضر أعدكم بالحقيقة كاملة".

سكت محمد قليلًا لا يفهم ما يحدث وبدأ عقله بطرح ملايين الأسئلة ولكن ظهر في وسط الأسئلة سؤال بدى أكثر منطقية وهو :

"ما دخلي أنا؟ وكيف أشبه حمدي؟ أكانت القصة وسيلة لتشغلني عنه؟"

يرن هاتف محمد..

- المُقدم محمد سيف النصر..من المتصل؟

- أنا موظف البنك الذي..

- لقد تذكرتك، هل أتى للبنك؟

- لم يأتِ ولكنه سحبه إلكترونيًا.

- ما معنى ذلك؟

- قد يكون اشترى به أشياء من السوق الإلكتروني أو حوَّلهم لبنك آخر.. أيًا كان فالبنك كله يتحدث هنا عن أحمد وكيف سحب أمواله.



"هل يُعقل أن أحمد قد هرب؟ أودع أمواله ببنك خارجي وهرب؟ لماذا افتعلتَ كل هذا من البداية.. لماذا قمتَ ب"..

قطع أفكار محمد صوتُ رنين هاتفه فالتقطه بسرعة:

- هل اكتشفت شيئًا؟

- تعرف أن الوزير رُفعت عليه قضية، والمحامي كان يترافع فيها، ولكن ما لا تعرفه هو أن القاضي كان نفس القاضي.

- ماذا؟

***

(٣٨)

يجلس محمد في مكتبه وقد أعياه التفكير، فيرن هاتفه..

- المُقدم محمد سيف النصر..من المتصل؟

- إنه أنا

استعاد محمد انتباهه دفعة واحدة..

- لماذا تتصل الآن بعد أن هربت؟

- هربت؟ من قال ذلك؟ إنني سأظهر مع ريتال اليوم عصرًا.

- أنت تكذب، لقد سحبت أموالك وسافرت.

- تقصد الخمسين مليونًا؟ ألا يُذكرك هذا الرقم بشيء؟

قالها أحمد ضاحكًا مما استفز محمد أكثر..

- هل تتذكر كيف قلت لك إنك حمدي؟

- لم أفهم القصة.. ولا يهمني، أنا علمت أنك قد قتلتَ من ضمن الأشخاص ضامنًا ألا يشك بك أحد لأنك تنبأت بذلك...



الوزيرَ قلتَ إنه سيموت في الحمام، وأنت من المفترض أن تعرف متى يموت فقط، وليس مكان موته!

- لقد كانت مخاطرة لأقول ذلك ولكن كان من شرطي أن أخبرك بكل التفاصيل حتى تصدق أن الأمر ليس صدفة، أما بالنسبة للقصة، فإنك حمدي.. وأنا زيد الجنّي وأنا المُنَجِم... ودَعْنا نتحدث نقطة بنقطة حتى لا...

قاطعه محمد بوجوم:

- ولكنه لم يكن جنّيًا بالفعل.

ضحك أحمد في هذه اللحظة حتى سعل، ثم تكلم ببطء وبرود:

- ولا أنا منجمٌ بالفعل.. وأنت وحمدي كلاكما مخدوعان... أرأيت كيف تشبهان بعضكما البعض؟

- ولكن أسامة لقد مات.. لقد رأيته شاحبًا.. وشهادة المحكمة؟

كان محمد يتحدث في غياب وعي تقريبًا ويتقطع كلامه بين الحين والآخر..

- أسامة بصحة جيدة في لندن الآن، وذلك الشحوب كان نتيجة بعض التراكيب التي اخترناها سويًا، وفي يوم المحكمة نزف قليلًا من الدم ليبدو شاحبًا أكثر لا تنس حصولي على دكتوراة في الكمياء.. أما بالنسبة لشهادة المحكمة فللأسف لن يرجع حتى لا يُحبس بتهمة الشهادة الزور... ولكن اسأل كما تريد

وسأجيبك، فهذا حقك...كما ترك زيد رسالة إلى حمدي يوضح له فيها كل شيء.. أرأيت كيف أعدل بينكما؟

- وحبيبتك التي ماتت أمام عينيك لقد أخبرني أسامة عنها؟

- وهل صدقته؟ لقد تركتني لأنني منطوٍ، لم تمت.

- لماذا؟ لماذا فعلت ذلك كله؟

- السؤال هو لماذا هُم بالذات؟

- لماذا؟

رددها محمد خلفه وعقله لا يستطيع معالجة كَمّ الصدمات الواردة في تلك اللحظة...

- لا لا .. أريدك بكامل تركيزك، فما ستراه الآن ثمرة عشرين سنة من التعب والبحث، لا يجب أن تضيع بسبب غبائك..متِّعْني بها.

- لماذا هُم؟

قالها أحمد بانفعال...

- هكذا أفضل.. والإجابة ببساطة لأنهم يستحقون.. حسام وزير الصحة، مسؤول عن صحة كل المصريين، يوم كان مديرًا للمستشفى لم يسمح لأبي أن يدخل لأنني لم أملك المال الكافي، هل رأيت جشعًا أكثر من ذلك؟ واليوم هو الوزير.. كم



تظن قتلهم بأدوية منتهية الصلاحية قد صرح بها ليرضي جشعه؟

- بهذه البساطة؟ ظلمك فقتلته؟ ألا يوجد شرطة؟

- لقد أحبطتني، لخصت مجهود عشرين عامًا بكلمتين، ولكنك مخطئ، فالفاء تفيد السرعة، ولكنني لم أتسرع.. أخذت وقتي.. وبالطبع ذهبت لأشتكي لضابط شرطة كان شابًا وقتها، وقد صدقني وساعدني أنا وعمي على رفع قضية عليه فنجد المحامي الشاب إسلام الذي قبل قضيته، بل نجد الأدهى من ذلك أن القاضي قد تواطأ معهم..لم يستمع لنا فقط براءة... حتى الضابط تخلى عنا بعدها، علمت بعدها أن حسام كان لديه من أصدقاء السلطة مَن ساعدوه في كل هذا.

- لكن كيف؟

- بدا الأمر سهلًا، تعلم أن وزير الصحة ليس مهددًا، وحرسه ليس بتلك الدقة، قطرة صغيرة من سيانيد الهيدروجين في بخاخة عطر الحمام كانت كافية لقتله ولحسن الحظ روتينه ثابت.

- والقاضي؟ كيف قتلته؟

- تم إرغام القاضي على استنشاق مبيد حشري من نفس النوع الذي يُرش في الشارع، لا يوجد حراسة، كان القاتل في منزله من قبل المحاكمة، مختفيًا قبل وصول مازن أمام المنزل..كان

ذلك سهلًا أيضًا نام ليضع على وجهه الأنبوبة ويتنفسها ويموت بهدوء.. وإسلام لم أدرِ أنني أقنعته لهذه الدرجة، لقد انتحر وجعل الأمر أسهل مما يجب، فلقد هيأت له قتلة تليق بظلمه ولكنه عوضني.. لقد كتب لي أملاكه كلها.. هل تصدق ذلك العجوز؟

وظل يضحك لفترة طالت عن سابقيها..

- أنت لست..

- افهم، الأمر كله خدعة، هل تتذكر عندما حدثتك عن شجرة الخيرزان..كيف تمتد لسنوات تحت الأرض قبل أن تظهر؟ لقد قلت لك يومها إنها شجرتي المفضلة، لقد كتبت المذكرات منذ سنوات، خدعة المرآة، وخدعة فارق التوقيت، ما كان ياسين إلا ليخبرك بها فلسانه خارج فمه طوال الوقت.. أتريد أن أخبرك بما لم تفكر به قط؟ أنا من فجّر المقهى وقتل (مانجيستو) وعنتر.. أتعلم لماذا؟ لأنهما قتلا والداي ليلتها..

- كيف عرفتهما؟ لقد كنت صغيرًا

- نادى أحدهما الآخر أمامي.. وبحثت لقد استغرقت ستة عشر سنة في البحث.

- أفهم من ذلك أنك انتقمت من الجميع؟

- بالطبع، فكل شيء كان مخططًا له.



- كيف ربطت بينهم جميعًا؟ ما أدراك أنني سأتولى القضية؟ وما أدراك أن "إسلام" سيأتي؟ وما أدراك أن "حسن" سيكون قاضيك؟ هل كانت صدفة؟ هل كان لديك خطة بديلة؟

- الفشلة فقط هم من يملكون خططًا بديلة.. فهذا اعتراف منهم بفشل خطتهم الأولى، وأنا لست منهم.. ليس معنى أنكم أتيتم طوعًا أنكم من اخترتم.. فعلاء هو من اتصل بك، لقد جعلته يتصل بك خصيصًا.. أما إسلام فلقد رشوت الساعي كي يترك التلفاز على محاكمتي وإعادتها كثيرًا، ورشوة أكبر قليلًا لمحامي في مكتبه ليقترح عليه متابعة قضيتي.. وسال لعابه على الشهرة كعادته.

- والقاضي؟ كيف خمنت أنه..

قاطعه أحمد بانفعال..

- أنت لا تفهم..أنا لا أخمن.. لقد اخترت تلك العمارة لتكون في مواجهة القهوة وفي دائرة القاضي.. وقضية بذلك الحجم لن يتولاها إلا قاضٍ مخضرم مثله، وإن لم يتولاها كان هناك جزء من الخطة سيجعله يتولاها.

- ولكنك حاولت الانتحار.. لقد قطعت شرايينك أمامي.

قالها محمد كأنه تذكر شيئًا..

- لم أقطعها.. لقد تفاديت الشرايين بقدر الإمكان..لم تكن سوى جروح غائرة، وأسامة مُدرب على وقف النزيف

والإسعافات وإن لم تجدوا مسعفًا كان سيقوم بدوره بعد أن يستفيق من وجومه المصطنع.. لا تقلق لم أدع مجالًا للخطأ.

- ولماذا شردت كل هؤلاء الموظفين، لقد دمرت اقتصادًا قائمًا منذ سنوات؟

ضحك أحمد مجددًا: اقتصاد قائم على الظلم.. أنت لا زلت لا تفهم.. ومن الواضح أنك لم تقرأ القصة؟

- لا أفهم ماذا؟ ولماذا أنا اخترتني لأكون حمدي؟

- أتعلم؟ من تعاملي معك ظننت أنك أصبحت ضابطًا شريفًا، ولكن كونك لا تتذكرني هذا فقط يجعلني أتأكد أنك قد كررت الأمر كثيرًا.. الضابط الذي تخلى عنّا وظلمنا بطريقة غير مباشرة كان الملازم محمد طه سيف النصر آن ذاك...

- وهل ستقتلني؟

قالها محمد بوجوم دون أن يتذكر ما حدث... فاندفع أحمد:

- أرأيت؟ لم يهمك سوى موتك..لم تتعجب وتقول كيف؟ لم تتذكر وتقول هذا أنت ذلك الطفل؟ إنك ظالم وتستحق العقاب.

- اسمع يا هذا، إن فكرت يومًا في تهديدي لن أسمح لك، أقسم أنني سأودعك السجن، وإن لم أستطع سأقتلك بيدي.



قالها محمد بانفعال يُظهر الخوف الذي يستترووراء غضبه..

- لا تقلق..لم يمت حمدي لتموت أنت.. ستبقى حيًا كما بقي ، ولكن في المقابل ستعترف للناس كما فعل.. لن يضرك في عملك شيئًا فبوجود خالك لحمايتك سيكون الأمر كله كاعتراف لطبيب نفسي.

- ومن سيرغمني؟

- لن يتم إرغامك، ستعترف بنفسك، ستعترف لتكسب الشعور بالراحة.. لتنام قرير العين مرتاح الضمير، عندما يمر شريط حياتك أمامك وأنت تموت، تستمتع بمشاهدته.

قال أحمد ذلك وقد لان صوته، وقد تحول لاستعطاف أكثر منه تهديد..

- لن يحدث.

رد محمد بتصميم..

ضحك أحمد بنبرة مختلفة:

- حسنًا، سنلجأ للطريقة الأخرى.. ستعترف حتى لا تُتهم بجريمة الشروع في القتل.

- ماذا؟

- لقد حاولت قتل علاء، ألا تتذكر؟ رسائل التهديد مُرسلة من البريد بجوار منزلك، وكذلك رقم الهاتف المُشفر الذي فجر القنبلة، هو رقمك أنت.

- لم أتصل..

- حسنًا لقد تذكرت أنك اتصلت ولكنك اتصلت بعلاء، وهاتف علاء ليس الهاتف الذي فجر القنبلة لا تقلق.. ولكن بلعبة صغيرة من محترف برمجة سيحول الرقم الذي اتصلت به من رقم علاء لرقم الهاتف الذي فجر القنبلة.. وقد فعل ذلك أسامة عندما أخذ منك الهاتف... أستطيع الآن فك تشفير الرقم بضغطة زر من هنا ليظهر رقمك أمام الشرطة عاريًا.. ستعترف أو السجن..إلى اللقاء يا...

- انتظر..

- لقد أفسدت اللحظة..كنت سأختم المكالمة بطريقة درامية.

قالها أحمد بحزن مصطنع: ماذا تريد؟

- كيف قتلت القاضي، وكيف خططت لقتل إسلام وأنت بالسجن؟



- لم أقتلهم، إنني أكره الموت كما قلت لك.. علاء قتلهم.. وبالمناسبة جريدة التنمية.. إنها ملكي، وقد زادت المبيعات والحمد لله.. فأنا أحتاج الكثير من المال الفترة القادمة.

- هل أنت شيطان؟

- كُلنا مزيج من الخير والشر، أنا فقط تقبلت ذلك.. وجعلت الشر يخدم الخير.. اتسق مع نفسك يا حضرة الضابط.. بعد إذنك سأختم المكالمة بطريقتي.. إلى اللقاء يا عدوي العزيز.

كانت تلك أول مرة يتم غلق الهاتف في وجه محمد، ولكن على الرغم من غلق الهاتف.. إلا أنه يسمع صوت أحمد يضحك في أذنيه.

***

(٣٩)

"توقف الزمن للحظات، سمعوا جميعًا صدى الصوت، نظر الثلاثة رجال إلى بعضهم البعض، تأكدوا من حقيقة ما حدث.

- ماذا فعلت يا عنتر" .

"ويتذكر ملامح ذلك المستفز الذي رد عليه ببرود: لا يمكننا ذلك، فالدفع مقدم..

يرى نفسه وهو يتذلل له: أرجوك إن أبي يحتضر في الخارج..ألا تملك قلبًا؟

رد عليه ببرود: من حسن حظلك أن مدير المستشفى يمر خلفك الآن، حاول أن تطلب منه فقد يُعينك..د.حسام هناك من يريدك".

***

"إن الأمر حقيقي، فلقد تنبأ المُنَجِم بموت الصحفي معنا هنا، ومات بالفعل.. ولكن كان المشتبه به لأنه قُتل وكذلك حدث التفجير من بعد، ولكن هذه المرة تنبأ بموت القاضي ليموت فعلًا كما أخبرنا



جميعًا أمام عدسات الكاميرات.. لقد مات بطريقة طبيعية حيث خرج تقرير الطب الشرعي أنه مات بالاختناق نتيجة نوبة حادة من الربو، حيث كان مريضًا بالربو، ووجدوا بجهازه التنفسي بقايا غاز قتل الحشرات، لقد استنشقه وهو نائم.. رحم الله الفقيد وألهم أهله الصبروالسلوان"...

***

"إن اشتريت نبتة خيرزان وزرعتها وظللت تسقيها لن تنمو، تمر سنة والثانية والثالثة والرابعة ولا تنمو، تفقد الإحساس بها، يصبح الأمر كله روتينًا ولكنك تُصّر على أن تسقيها، في مطلع السنة الخامسة تبدأ شجرة الخيرزان في النمو، ولكنها تكافئك على صبرك، تنمو من ٧٠ سم إلى متركامل في اليوم، كل السنين السابقة كانت تزرع شبكة قوية من الجذور لتتحمل نموها المفاجئ".

***

"خرج للصالة ووقف بمحاذاة النافذة ليرى ما تكشفه، وجد المقهى مكشوفًا بكل من فيه، هنا خطر بباله أن أحمد لم ينس الباب مفتوحًا وإنما تركه له بعد رؤيته وهو يدخل المقهى، ولكنه لم يلبث وقد اعترف بسخافة ذلك الخاطر، فلماذا قد يترك شقته إذا علم بقدومه".

"وجدته مرتديًا بذلته السوداء وربطة عنق سوداء أيضًا، فسألته متهكمًا إن كان ذاهبًا لعزاء، فرد أنه بالفعل سيذهب لعزاء،

فلقد مات (مانجيستو) منذ نصف ساعة تقريبًا، لم أدر وقتها إن فرحت أم حزنت.. مانجيستو كان من أكثر بلطجية المنطقة شرًا لأكثر من ثلاثين عامًا، لم أملك أن أقول سوى إنا لله وإنا إليه راجعون، استاذنته أن ينتظرني حتى أرتدي ملابسي وأنزل معه، وكانت حوالي الرابعة والنصف، ونزلنا أمام البيت، وجدنا (مانجيستو) و، عنتر يجلسان على القهوة وحدهما، فكما تعلم لا يجرؤ أحد أن يجلس معهما حتى الحاج صفوت صاحب القهوة.. أتذكر وقتها أنني قد علا صوتي وأنا أقول لأحمد مثل هذا لا يموت، بل يظل حيًا يرهب الناس، سبحان الله! لم أتم الجملة حتى انفجرت القهوة من تسريب الغاز بعدها بثوان..كانت في الخامسة تقريبًا".

"ينزل السائق ويتبعه مصطفى، ليظهر من العدم رجلان أحدهما يشهر مسدسه والآخر يمسك بمطواة في يده"...

***

"ضحك أحمد مجددًا ونظر في ساعته..

- الأمر لا يسير بتلك الطريقة.. أ.علاء محمد جابر رئيس تحرير جريدة التنمية.. سيموت ((ورفع ساعته مجددًا)) الآن.

((في هذه اللحظة التقط محمد هاتفه واتصل بعلاء ولكنه لا يرد.. اتصل مرة أخرى ولكن الهاتف قد أُغلق.))"



"تدخل أسامة في الحديث طالبًا من محمد إجراء مكالمة مع طبيب الفندق حتى يستعد له قبل عودته، رحب محمد ولكن نبهه بأنه الهاتف يتصل بالهواتف الأرضية فقط.. فطلب منه هاتفه المحمول، فأعطاه إياه".

***

"أنت لا تعلم ما يستحقه، إن كان لدينا الوقت في المستقبل سأشرح لك كل شيء، أعدك بذلك" .

***

.. الخاتمة ..

يجلس أحمد أمام ريتال..

- هل يمكن أن تفسر لنا وللسادة المشاهدين لماذا ادّعيت موت رجال الأعمال؟

- متي؟ لا أتذكر ذلك؟

بدأت ريتال بالانفعال..

- لقد كنت على نفس المقعد وأنت تخبرنا بموت رجال الأعمال.

ابتسم أحمد ورجع بظهره للوراء..

- عزيزتي، لقد لاحظت في الآونة الأخيرة فساد بعض رجال الأعمال، فمنهم من ظهر الفساد في مصانعه الغذائية بالصور ولكن لم يتم القبض عليه، ومنهم من مات تحت عقاراته المتداعية المئاتُ، ولم يتم القبض عليه، منهم أيضًا الوزير الذي يسهل لآخرين سرقة البلد ولم يتم القبض عليه، بالطبع



غير من يحتكر الحديد ولم يتم القبض عليه.. هل تعرفي ما المشكلة؟ المشكلة أنه إذا تم القبض عليهم سينهار الاقتصاد كما حدث.

- هل تقول إنهم فاسدون؟

- بالطبع رجال الأعمال الذين تكلمت عنهم الآن، فاسدون ولكنني لم أحدد أسماء.

- بل حددت أسماء المرة الماضية.

- لا لم أحدد، بل أنتِ التي حددتي، أنتِ مَن فتحتِ الورقة وقرأتِ منها أسماء رجال الأعمال.. هذه الورقة لا أعلم عنها شيئًا.. لقد كانت هنا منذ بداية التصوير.

نظرت ريتال وقد جحظت عيناها من المفاجأة..

- لا تقلقي.. لن تتم محاسبتك، فإن كان هناك نية لمحاكمتك لحاكموكِ منذ زمن، فأنت لم تفعلي سوى ما تفعلينه كل مرة منذ أن صورتْك الكاميرا لأول مرة.. وهو الكذب.

لم تستطع الرد.. وأدار أحمد وجهه ليكون في مواجهة الكاميرا..

- أطمئنُ السادة المشاهدين.. أن المعضلة قد حُلت.. تخلصنا من الفاسدين دون أن ينهار الاقتصاد.. جميع أسهم البورصة للشركات المُنهارة قد اشتريتها مع مجموعة من رجال الأعمال

المحترمين، وجميع العاملين الذين تم تسريحهم سيعودون للعمل من الغد.. وبالنسبة لمصانع "حلمي استيل" لصناعة حديد الصلب، فلقد أقنعت صاحبها بعدما تيقن من موته - الذي تنبأتْ به أ.ريتال بتوزيع مصانعه على مستثمرين صغار، وقد رشحت له أسماء.. وفعل ذلك خاصة أنه لا يوجد له وريث من بعده.

ثم استدارلريتال..

- أما أنتِ فلا تقلقي.. سيزيدك ظهورك معي شهرة، بالطبع هي شهرة سيئة فأنت من كذبتِ على الناس وتنبأتِ بموت رجال أعمال وخراب بيوتهم.. ولكن لا تقلقي بمرور الوقت سينسى الناس سبب شهرتك، وستتبقى شهرتك فقط.. فكما قال نجيب محفوظ "آفة حارتنا النسيان."

عاد إلى الكاميرا مرة أخرى..

- شكرًا لكم أعزائي المشاهدين..كلكم كنتم مشاهدين.

***



يخرج المخُرج فاصلًا دون أن تتكلم ريتال ليصدح الإعلان...

"عقارات المُنَجِم أول مجموعة سكنية حقيقية لمحدودي الدخل، فقط قدم أوراقك والسعر أقل من إيجار شقتك.. المُنَجِم أن تصنع فرقًا"

تمت

٢٠١٥/٦/٢٧

إصدارات عصير الكتب للنشر والتوزيع













